



مذاهب و شخصیات

السناتور جو مکارتی

RICHARD
ROVERE

SENATOR JOE



McCARTHY



مقام ریترده، روفیری
محمود صفی محمد فلیل
محمود فتحی عمر

مذاهب و شخصیات

السناتور جو مقام

بقلم: ریشتر دھ. روفیری

ترجمہ: محمد مصطفیٰ محمد خلیل
مترجم: محمد فاضل محمد

الفصل الأول

حياته الأولى

كان السناتور الأمريكي الراحل جوزيف ر. مكارثي من أعظم زعماء الجماهير الموهوبين الذين أنجبتهم شواطئ ولاية ويسكنسن .

ولقد كان بحق أشجع سياسي ظهر في تلك البلاد كما كان جريئا مهيبا تمكن في أسرع وقت من السيطرة التامة على الدواحي المظلمة في العقول الأمريكية .

ان أعظم حقبة في تاريخ مكارثي لم تستمر لفترة طويلة ، فلقد بدأت في عام ١٩٥٠ ، أي بعد أن أصبح « سناتورا » بثلاثة أعوام ، وسرعان ما انتهت في عام ١٩٥٤ بعد أن أصدر مجلس الشيوخ الأمريكي قرارا بتوجيه اللوم اليه وكان ذلك قبل وفاته وهو في سن الثامنة والأربعين بثلاث سنوات .

لقد حدث بزوغ نجم مكارثي وأفوله في سرعة مذهلة تكاد أنفاس المرء تتوقف دون اللحاق بها .

وفي بداية ١٩٥٠ كان مكارثي يعيش مقمورا في ولاية ويسكنسن ، وما لبث أن اكتشف - بدون أي قصد - الشيوعية ، مثله في ذلك مثل كريستوفر كولمبس حين اكتشف أمريكا ، وجيمس مارشال الذي اكتشف الذهب في كاليفورنيا .

وما ان حل ربيع ذلك العام نفسه (١٩٥٠) حتى كان مكارثي شخصا مرموقا متألعا أقرب الى الضمير الأمريكي من أي شخص آخر .

لقد ملا بحق المقعد الكلاسيكي لقرصان الديمقراطية التي وضعها أريستوفان منذ ٢٤٠٠ عام ، لقد كان دور القرصان يحتاج الى السخري بكل شيء كما يحتاج الى الامانة والاستقامة في وقت واحد ، وهكذا أصبح مكارثي كل شيء بعد أن كان لا شيء ، يأمر وينهى ، يجمع ويفرق ، يبطل ما يراه من القوانين ويصدر ما يعن له حتى دانت له البلاد بأسرها .

وهنا قام بالثورة ضده والوقوف في وجهه زملاؤه من أعضاء مجلس الشيوخ والجنرالات وازداد عدد معارضيه في جميع أنحاء البلاد ، فكان لا بد له أن يتراجع ازاء هذه المعارضة الشديدة .

وهكذا عانى مكارثي خلال سنتي سيطرته القليلة الكثير من الصعاب والشدائد، ولكنها لم تكن فاصلة، كما أنها لم تؤد به الى الهاوية والسقوط.

وكان محط الانظار فسلطت عليه السينما والتلفزيون، واستمر في مزاولته نشاطه الى أن صدر قرار مجلس الشيوخ بالتنديد به وادانته بسبب قيامه بأعمال من شأنها الحط من هيبة المجلس والاساءة الى سمعته . كما انها كانت تهدف الى تصدع المجلس وتداعيه .

وقد تعرض بعض أعضاء مجلس الشيوخ ممن هم أقل نفوذاً وسطوة من مكارثي الى لوم وتقريع المجلس غير أنهم أحرزوا انتصارات باهرة ومن هؤلاء الشيخ روبرت م . لافوليت من ويسكنسن الذي استطاع مكارثي أن ينافسه ويهزمه في تلك الدائرة عام ١٩٤٦ .

ولم يأت هذا القرار الا بعد أن انتهك مكارثي حرمة القانون الأمريكي واعتدى على الكثير من نصوص الدستور الأمريكي دون أن يعاب بذلك ملقياً بها وراء ظهره ضارباً بها عرض الحائط . وبعد أن تدخل في الكثير من السلطات والتنظيمات . بل وكثيراً ما اغتصب لنفسه حقوق السلطة التنفيذية والقضائية كلما كان يحلو له ذلك ، وكثيراً ما كان يحلو له هذا التصرف .

ولقد استطاع مكارثي في عهده أن يشل حركة اثنين من رؤساء الجمهورية الأمريكية على التوالي هما : الرئيس هاري ترومان ، والرئيس دوايت أيزنهاور وتحديد سلطات كل منهما في المدة من بداية ١٩٥٠ الى نهاية عام ١٩٥٤ .

فلم يكن باستطاعة أي منهما في هذه الفترة أن يتصرف في شيء أو أن يصدر أي قرار أو أن يضع أية خطة دون معرفة رأي مكارثي في هذه الخطط والقرارات .

وكانت نتيجة ذلك أن ظل كل من ترومان وايزنهاور مكتوفين الأيدي أمام الكثير من الأمور والشئون التي تدخل في اختصاصيهما بصفتهم الرئيسيين الشرعيين للبلاد .

ولم يقتصر تأثير مكارثي على السياسة الداخلية الأمريكية فحسب ، بل تعداها الى السياسة الخارجية في وقت كان لموقف الولايات المتحدة الأمريكية السياسي أثره الكبير في تغيير مجرى الأمور في المحيط السياسي العالمي .

ولو لم يظهر مكارثي في التاريخ لكان للدبلوماسية الأمريكية في أيامنا هذه موقف يغاير موقفها الحالي .

وبالرغم من أن مكارثي كان واحداً من أعضاء الكونجرس الأمريكي فقد كان يحتقر القواعد التي اتخذها هذا المجلس لنفسه .

وكان كثيراً ما يخالف الأغراض التي سنت من أجلها القوانين ، ما دامت تتعارض مع أغراضه .

وفي بداية عام ١٩٥٠ لم يكن مكارثي بالشخصية المعروفة خارج ولاية ويسكونسن . أما داخل هذه الولاية فقد كان معروفاً فيها كأحد رجال السياسة الرعاع الذين يستخدمون أرخص الطرق وأحقسرها ومن يجيدون وسائل التزلف للجمهور .

تآن صوته ضعيفا لا يكاد يصل الى أحد ، وكأنه انما يصرخ في غابة شاسعة مترامية الأطراف .

ولكنه ما أن حل يوم ٩ فبراير ١٩٥٠ يوم أن القى الخطاب السياسي ، في بلدة « هويلنج » بولاية فرجينيا الغربية ، الذي ذكر فيه أن وزارة الخارجية الامريكية ملائ بالشيوخين وانه وزير الخارجية يعرفان أسماء هؤلاء الشيوخين ، حتى حدثت ضجة كبرى فشكلت لجان علي الفور للتحقيق في صحة ما ذكره مكارثي في خطابه من هذه البيانات والادعاءات والتأكد من مدى صحة الارقام التي ذكرها من أن هؤلاء الشيوخين يبلغون ٢٠٥ أو ٨١ أو ٥٧ أو غير هذا العدد من الشيوخين - لكن الأمر الخطير كان هو قوله ان وزير الخارجية يعرفهم وأنهم ما زالوا يعملون في وزارة الخارجية الامريكية ملائ بالشيوخين وانه وزير الخارجية يعرفان أسماء الهادف منها جميعا هو الوصول للحقيقة .

وفي هذه افترة دارت رحي الحرب الكويية . في غضون مارس وابريل ومايو ، بعد أن عيش تلك الفترة القوى الشيوعية في الشرق الأقصى ، وعندئذ هب الجميع في أمريكا متسائلين عن الايدي التي تصرف شئون السياسة الامريكية الخارجية ، أهم الخونه الشيوعيون حقيقة أم غيرهم من السياسيين الامريكيين المخلصين لبلادهم .

كان ذلك بمثابة الفرصة الذهبية لمكارثي ، اذ سلطت عليه الاضواء وتوجهت اليه الانظار وأصبح هدفا للجميع ، وما هي الا أسابيع قلائل حتى كان اسم مكارثي يتردد على كل لسان وتصدرت صورته الصفحات الأولى من الجرائد والمجلات الامريكية الكثيرة . كما كان له النصيب الأكبر على شاشة السينما والتلفزيون .

وهكذا لم يمض على خطاب مكارثي في هويلنج سوى شهر تقريبا حتى اعتلى مسرح السياسة الامريكية . ومن ثم أصبحت المكارثية تسود البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وأصبح مكارثي القطب السياسي المرموق

واختلفت الآراء حول المكارثية : يراها البعض رجعية تصفية استبدادية وارهابية على حين يراها آخرون أنها وطنية متطرفة . ويرى أكثر الامريكيين أن المكارثية هي « الامريكية » .

وفي العام نفسه (١٩٥٠) نشر مكارثي كتابا حوى فيه خطبته العدة وشهاداته التي أدلى بها أمام لجان التحقيق الخمس التي شكلت لبحث أقواله التي أعلنها في خطبته في « هويلنج » ، وقد أطلق على كتابه هذا « النضال في سبيل أمريكا » .

ومنذ هذا التاريخ أصبحت المكارثية لدى الكثير من الامريكيين لفظا مترادفا مع القومية الامريكية .

واذا كان لنا أن نصف مكارثي فمن الممكن القول « ان مكارثي لم يكن مستبدا ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، أو رجعي ، ولسنا مبالغين في هذا القول ، ذلك لأن اهتمامه لم يكن مركزا على النظم الاجتماعية والاقتصادية ، واذا ما أردنا أن ننسبه الى مبدأ أو مذهب فقد كان مكارثي

مجرد لأشياء... قوة مدمرة... ثائرا بلا نظرية... متمردا بلا سبب»
نعود للحديث ثانية عن مكارثي فنجد أن صيته قد ذاع وانتشر في
جميع البلاد وأصبح حديث الناس تتناقله اللسان في كل مكان .

ولقد شهد بهذا ادلاى ستيفنسون خلال رحلته التي قام بها في
غضون عام ١٩٥٣ والتي زار فيها معظم بلاد العالم تقريبا حين قال «لقد
أصبح معروفا في جميع البلاد كما تكلمت عنه جميع اللسان بجميع
اللغات» .

وأصبحت المكارثية في شرق أوروبا وغربها بل في معظم بلدان
آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، تعنى الوقوف في وجه جميع مساوئ
ومخازي السياسة الخارجية الأمريكية بل الحياة الأمريكية نفسها .

وكتبت عنه الجرائد وأفردت له صفحات بأكملها ، وحدث هذا حتى
في الجرائد التي اشتهرت بطابع التحفظ التقليدي مثل جريدة التايمز
اللندنية والتي ذكرت في مقال لها ذات مرة :

« ان المخاوف والشكوك التي تحيط بشخصية مكارثي أصبحت ذات
أهمية كعامل أساسي في وضع سياسة الغرب » ثم قالت في نهاية مقالها
« لقد أصبح مكارثي مصدر قلق لـلخلفاء الولايات المتحدة » وما لبث أن
هاجمه ونستون تشرشل في خطاب ألقاه خلال حفلة تتويج الملكة إليزابيث
الثانية .

وقد كان مكارثي بحق أكبر من الحياة ، وكانت لأعماله التي قام
بها خلال حياته القصيرة النتائج الخطيرة الحافلة ، وكان بلا جدال هو السبب
الأول في عقد الكثير من الندوات والمناقشات ، بل كثيرا ما دارت حوله
المناقشات حتى لقد اعتبره الاغانب عدوا لهم .

وفي واشنطن والاراضي الممتدة الى الغرب منها كان مكارثي متعدد
الواهب ذا عقلية خلاقة مبدعة ، فكان أول منظم للجماهير استطاع بسهولة
فائقة أن يستحوذ على الرأي العام . وكانت له شعبية واسعة النطاق .

ولم يكن السناتور مكارثي هو أول من استخدم الحصانة البرلمانية
وسلطات الكونجرس في أغراض شخصية بحتة ، ولكنه كان أشد الجميع
وأكثرهم جرأة ودهاء في هذا الميدان .

فلقد تمكن من التدخل في نظم الاحزاب الأمريكية بطريقة تدعو
للدهشة والعجب .

بدأ مكارثي نشاطه السياسي بكونه أحد أعضاء الحزب الديمقراطي
المؤيد لروزفلت ، ولكنه سرعان ما ترك الحزب الديمقراطي وانضم
للحزب الجمهوري عام ١٩٣٩ ، ورشح نفسه عضوا لمجلس الشيوخ
باعتباره جمهوريا ، وأخذ في مهاجمة الديموقراطية والديمقراطيين وكلل
هذا الهجوم في خطابه الذي ألقاه في هويلنج بتهمة التعامل مع الشيوعيين .

ثم اختتم خطبته الثورية بقوله « ان العشرين عاما التي تولى

الديمقراطيون خلالها الحكم لم تكن سوى سلسلة متصلة من الخيانات والغدر .

وفاز الجمهوريون في الانتخابات وتولوا الحكم ، وتم انتخاب دوايت ايزنهاور رئيساً للجمهورية ، ولكن مكارثي ما كان ليعيش الا على توجيه التهم والادعاءات ، فظل يتهم الحكومة بالضعف والتخاذل والخنوع في سياستها الخارجية وتراجعها وخضوعها للشيوعيين ، وما أن انصرم عام على تولي الجمهوريين للحكم ، حتى عددا مكارثي السنة الواحدة والعشرين من سني الحيانة ، بمعنى أن الحكم الجمهوري لم يكن سوى استمرار للحكم الديمقراطي المبني على الحيانة والغدر ، كما أنه لم يكن بأفضل منه في تبعيته وطواعيته للجهاز الشيوعي والشيوعيين .

ويجب أن نذكر ان مكارثي قد نجح الى حد بعيد في شغل حركة الرئيس ترومان وحكومته ، ولقد اعترف ترومان بالدور الخطير الذي لعبه مكارثي وهاجمه بعنف ، ولكن كان هذا بعد أن تخلى عن الرئاسة وترك البيت الابيض الامريكي .

واشتدت حملة مكارثي على الديمقراطيين بعد استدعاء ماك آرثر من الشرق الأقصى .

وظل أعضاء حكومة ترومان يحاولون جاهدين استعادة ثقة الشعب بهم بعد الذي أذاعه مكارثي عنهم لفترة غير وجيزة ، ونذكر منهم على سبيل المثال دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكية في حكومة ترومان . فقد ظل اتشيسون خلال عام ١٩٥٠ والسنوات التالية يشرح لكل الطوائف الأمريكية انه ليس بالرجل الفاسد . كما اتهمه مكارثي ، وأنه ظل يكافح الشيوعية طيلة سني حكمه وأنه لم يتعامل قط مع أي أجنبي خائن للبلاد .

ولكي تثبت الحكومة القائمة وطنيتها وخلصها للبلاد ، استعانت بجون فوستر دالاس وأقالت عددا من الضباط الذين وجه اليهم مكارثي التهم ، وراح الجميع يؤكدون للحلفاء ان مكارثي لا يسيطر على زمام الامور في واشنطن .

وكان لادىلحكومة ترومان أن تقف في موقف دفاعي يشوبه الخدروالحيطة لانها علمت كما علم الجمهوريون من قبل ان المكارثية مبدأ مزدوج الشخصية . فقد تغلغلت المكارثية في صفوف الحزب الديمقراطي وأدت الى انتشار البلبلة . والسخط فيه وهي أمور تستفيد منها المكارثية فائدة عظيمة .

ووجه السيناتور هنري كابوت لودج الجمهوري سؤالاً لحاكم ماستشوسيتس الديمقراطي ، وقال له «ماهو شعور سكان الولاية ازاء المكارثية في هذه الأيام ؟ » فأجاب الحاكم بقوله « أعتقد أن أعضاء حزبكم لا يفكرون كثيرا في مكارثي ولكن الديمقراطيين يفعلون »

وأجيب كبار أعضاء مجلس الشيوخ من أمثال بول دوجلاس - صاحب أكبر عقليه وشجاعة في التاريخ الامريكي - عن الخوض في بحث المكارثية . وقد حدا هذه السيناتور جون كينيدي (الرئيس الحالي للولايات المتحدة الامريكية) الذي كان قد وضع كتابا عن الشجاعة استعرض فيه الشخصيات السياسية المكافحة .

وفي عام ١٩٥٢ كان هناك عدد كبير من الناس لا يميلون الى الحزب الجمهوري ، ولكنهم يؤيدونه على أساس انه اذا كان الديمقراطيون هم الذين فازوا في الانتخابات فانهم سيظلون تحت رحمة مكارثي .

لقد وجهت اتهامات مكارثي هذه لعدد كبير من الساسة المعروفين من أمثال دين اتسيشون والجنرال جورج مارشال قائد الجيش . وادت بهما هذه الاتهامات الى التصريح بأنهما لا يوافقان على مبدأ الاعتراف بالصين الشعبية (الشيوعية) بل انهما لا يقران دخولها الى منظمة الأمم المتحدة وانهما يبغضان مجرد التفكير في الشيوعية والشيوعيين .

وإزاء هذا التفكير الناجم عن هذه الاتهامات المتكررة ، اضطرر للتصريح بأن الولايات المتحدة الامريكية لن تعترف بالصين الشعبية ، وكان هذا ينافي ما يعتقدونه .

هكذا نرى أن المكارثية تمكنت بسهولة من أن تدفع رجالا أكفأ اذكياء اشتبهوا بالعقل والحلم للمخادعة والعناد .

وبات الناس في أمريكا يحلمون بانتهاء مكارثي والمكارثية وتطلعوا الى انتخاب آيزنهاور ، معتقدين ان في انتخابه نهاية لهذا العهد المكارثي البغيض ، ولكن سرعان ما تحطمت تلك الآمال والأحلام على صخرة الاحداث والحقائق بعد ذلك ، فما أن مضى شهران على انتخاب آيزنهاور وتسلمه لمقاليد الحكم حتى زاد عدد ضحايا المكارثية برغم ما ذكرته جريدة « پوست » الكبرى في معرض صفحاتها من أن « صوت السناتور مكارثي ليس هو صوت أمريكا ، وإن هنالك أصواتا أخرى يجب أن ترتفع لتعلن صوت أمريكا الحقيقي بالخارج والداخل على السواء » .

واستجابت الحكومة لتلك النداءات المتكررة بعض الشيء عندما أعلنت موافقتها على الهدنة الكورية عام ١٩٥٣ ، وكان لهذه الموافقة صدى كبير ومغزى بعيد إذ استطاعت الحكومة لأول مرة ألا تبالي بالمكارثية وإدعائها ، ولقد أبدى هذا ترومان في مقال له اذ قال :

« لو كنت قد وقعت هذه المعاهدة لكان في ذلك انتحاري بدون شك - ذلك لأن مكارثي كان ينتهز الفرصة ليطعنني من جديد ويتهمني في مدى اخلاصي وولائي لأمريكا » .

ولكن ما قاساه الرئيس ترومان لا يعد شيئا بجوار ما قاساه الرئيس آيزنهاور في صمت ، وخاصة خلال السنتين الاوليين من فترة حكمه فقد اعتزم آيزنهاور ذات مرة الذهاب الى ولاية ويسكونسن بلد مكارثي ، والاشادة فيها بالجنرال جورج مارشال قائد الجيش الأمريكي الذي اتهمه مكارثي بالخيانة ، ولكن قادة الحزب في ولاية ويسكونسن خافوا من نتائج تلك الزيارة . وما قد تؤدي اليه من اغضاب مكارثي واثارته ، وهكذا التف كبار رجال الحزب الجمهوري حول آيزنهاور وتمكنوا من اقناعه بحذف الجزء الخاص بالجنرال جورج مارشال من خطبته ، وكان لهم ما أرادوا في النهاية . ونزل آيزنهاور عند رغبتهم ، ولكن السناتور مكارثي أعلن قائلا : انه سواء منح آيزنهاور الجنرال

جورج مارشال أو لم يمتدحه ، فإن هذا لن يؤثر عليه في شيء ولكنه كان متحمسا عندما أعلن رأيه لدرجة أن إيزنهاور تراجع أمام هذا التحمس .

وما إن حل عام ١٩٥٣ حتى كان مجرد ذكر اسم مكارتى كفيلا يبعث القشعريرة في القلوب بين جميع سكان البيت الابيض الأمريكى وبين جميع أعضاء الهيئة التنفيذية بالحكومة .

وكان جميع الاعضاء سواء كانوا فى الكونجرس الأمريكى أو غيره انما يتجنبون الخوض فى سيرته اتقاء لشره .

فقد حدث ذات مرة ان قابلت احد كبار المسئولين فى البيت الابيض وعلى وجه التحديد أحد مساعدى الرئيس الأمريكى وهو انسان بدا لى حينئذ - لما هو حاله اليوم - انه فوق المستوى من ناحية الشجاعة والصراحة ، وما أن تناقشنا فى موضوعات عدة حتى تطرق الحديث بيننا الى الموضوع الذى يشغل المكانة الاولى فى أمريكا وهو مكارتى ، وما أن بلغت تلك النقطة وبرغم تفدىمى التأكيدات اللازمه بأننى لن أنشر ما سيذكره لى على لسانه حتى لا يعرج مركزه ما أن ذُكرت اسم مكارتى حتى تغير حاله تماما ، وبالرغم من أنه ظل قابعا فى كرسيه دون حركة فقد استمر فى الحديث ، اننى لا اذكر بالضبط كلماته التى أوردها حينئذ ولكننى أتذكر أنه قال :

« لا تسألنى بربك ان نتحدث فى هذا ... فى الوقت الحاضر على الأقل ... ساعدك بقدر استطاعتي ، وسأتحدث اليك فى أى موضوع تشاء عدا هذا الموضوع . أرجو ألا تلج على فى الحديث عن هذا الموضوع ، بل اننى أرجو ألا تسألنى لماذا لا أود الخوض فى هذا الموضوع . قد يجيء الوقت الذى أحذثك عنه ولكن ليس الآن على أية حال » .

وصدقنى ... اننى لم أر قبل ذلك - بل ولا بعد ذلك - رجلا مكتملا يشغل مركزا محترما كان فى مثل هذه الحال .

حتى لقد أحسست بأنه على استعداد لان يعدنى بمنصب السفارة أو بأى منصب كبير فى مقابل عدم ذكر اسم مكارتى أمامه .

لقد شعرت فى الوقت نفسه خلال هذا الحديث بأن تفجير القنبلة الهيدروجينية لم يكن ليرعبه ولا ليثير مخاوفه كما يثيرها مجرد ذكر اسم هذا السناثور الأمريكى أو احتمال قيام مناقشة بينهما .

وهكذا نلمس أن المكارتية سيطرت حيناً من الزمن على زمام الأمور فى أمريكا ، وتولت توجيه سياسة البلاد وتحديد الطريق الذى لا تستطيع الحكومة أن تحيد عنه قيد شعرة . وكثر فى هذه الآونة طرد الموظفين والمسئولين وتعيين آخرين بدلا منهم .

ولقد أدى ازدياد نفوذ المكارتية وسطوتها الى جعل الكثيرين يعتقدون أنه سيأتى الوقت الذى لا ينتهك مكارتى قوانين البلاد فحسب ، وانما يصدرها أيضا . ولم يكن قد مضى وقت طويل على انتهاء الحرب العالمية الثانية .

فيمستطيع المرء اجراء موازنة بين ما كان يفعله مكارثي وما كان يفعله الهر أدولف هتلر النازي .

والى مكارثي يعزو النقاد والفنيون ضعف القصص والمسرحيات وما نشره الكتاب من كتب ومقالات ، اذ أنها كانت تدور حول موضوعات فارغه خالية من المعاني والافكار - كما تعزوا اليه في الوقت نفسه انتشار حوادث الانحلال الخلقي والتدهور الاجتماعي بين الشبان والشابات الامريكان .

فلقد دأب شباب الجامعات في أيامه على الهجوم على حجرات نوم الطالبات ، وقد ذكرت جريدة الهيرالد تريبيون التي تصدر في نيويورك في عددها الصادر في ١٩٥٢/٥/٢٥ رأيا يذكر فيه صاحبه .

« ان المكارثية أثرت على الشباب والشابات الامريكيين في الجامعات والمدارس واضطرتهم للانعزال والصمت عن الحياة السياسية عامة الداخلية والخارجية ، فقد كانوا يخشون التحدث فيها لئلا يزعج بهم في غياهب السجون بتهمة الشيوعية ، حيث ينتشر أعوان مكارثي في كل مكان ، ولذا لم يجد الشباب الامريكيون أمامهم من وسيلة يصرفون فيها طاقتهم المخزونة الا في هذه الغارات الدنيئة المتكررة كل يوم على حجرات نوم الطالبات » .

واستمر مكارثي في طريقه لا يحدده قانون ولا يمنعه دستور ولا يقف في سبيله حائل ، وبهذه الطريقة تمكن من جعل السياسة في أمريكا مجرد حديث أجوف يدور عن الولاء والامن والاختطار التي تحيط بها وكيف تدرا .

وفي بداية عهد دوايت أيزنهاور أصبح العمل السياسي المطلوب هو زيادة عدد الموظفين الذين تطردهم الحكومة من وظائفهم بتهمة الخيانة والتعامل مع الشيوعيين ، وأصبح مجرد اتهام مكارثي أو أحد من أعوانه لأي رجل مهما كانت مكانته الاجتماعية أو مركزه الذي يشغله بأنه شيوعي كفيلا بأن يحكم عليه بالاعدام من الناحية المادية والمعنوية والاجتماعية .

وسرعان ما تدهورت الامور وسادت الاحوال حتى انعكس هذا على تصرفات الحكومة نفسها فكانت تفخر بانها قامت بطرد أكثر من ١٤٠٠ موظف زادت الى ٢٢٠٠ في يوم واحد . كما أعلن ذلك أيزنهاور نفسه كأنما يجد لذة كبيرة في هذا الشرف الكبير .

وقد أجاب عن ذلك الحزب الديمقراطي الذي أعلن أنه قام بهذا الدور نفسه من قبل ، بل ما يزيد على ذلك خلال السنوات الطويلة التي تقلد فيها زمام الحكم .

وهكذا وقع كل من الحزبين في الشرك الذي نصبه لهما السناتور مكارثي ، وبدلا من أن يفتننا أو يفتن واحد منهما على الاقل لهذا الشرك المكارثي مضى كل منهما يفاخر الآخر بما فعله من أعمال مجيدة ، معددا الموظفين الذين أبعدهم عن وظائفهم وأعمالهم .

وأخذ كل من الحزبين فى العمل لنيل الرضا المكافئ والحظوة به ،

وهكذا ظل مكارثي فى مكانه الذى اعتلاه يزداد رسوخا وثباتا على مدى الزمن ، وظل هو مندفعاً فى تيار الطيش والارهاب مستمرّاً تطرفه وتكالب الأحزاب عليه ، ولا يملك الكل من حوله أن يحركوا ساكناً . ولا يتفوهوا بكلمة . وكان الامر لا يعينهم ، أو لكأنما الامر قد خرج من أيديهم الى الأبد ، لا يملكون سوى مشاهدة ما يجرى على المسرح من بعيد ، دون أن يكون لهم دور فى هذه التمثيلية المحزنة .

وكان أسوأ ما فى الامر أن مكارثي والمكارتية جعلت الناس يظنون بل ويعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن أمن الدولة وسلامتها لا يمكن أن يتحقق الا بإعلان الحرب على الموظفين الذين يشك فى ولائهم للدولة دون حاجة لبحث أو تنقيب . فما كان أسهل أن يتهم شخص أى رجل كبير كان أم صغيراً لخلافات شخصية بينهما بأنه شيوعى ، وما أسهل عليه أن يرسل بهذا المعنى الى مكارثي أو الى أحد من رفاقه قصاصة ورق غفلاً من التوقيع حتى يصبح الرجل فيجد نفسه طريد الحكومة معزولاً من منصبه دون ذنب ولا جريمة

وانتشر الرعب بين النامى ازاء ذلك ، وأصبح كل فرد غير آمن على نفسه أو على مستقبله ، وتمثلت صورة أدولف هتلر أمام الاذنان مرة أخرى وصرح بهذا السيد « ارثر » شقيق أينهاور عندما قال ذات مرة : « كلما تذكرت مكارثي تذكرت معه على الفور هتلر فكلاهما أصبح مرادفاً للآخر » .

وفى حديث آخر قالت الينسور روزفلت « ان طريقة مكارثي هي طريقة هتلر نفسها ، كما نشر جوزيف هارش فى عام ١٩٥٣ يقول ان الالمان حين كانوا ينظرون الى مكارثي يخف كثيراً شعور الذنب الذى كانوا يحملونه ففى قلوبهم من جراء ما فعله هتلر » .

والواقع أنه كان فى تلك المقارنات وجه كبير من وجوه الحق والصدق فكل من مكارثي وهتلر كان قائداً جماهيرياً يملأ الدنيا صراخاً وعويلاً ، ويستفيد من إثارة المخاوف . فلقد استخدم مكارثي الخوف من البلشفية ، كما استخدمها هتلر ، غير ان هتلر كان يصف الشيوعى بأنها تهديد ثورى للدولة ، على حين كان مكارثي يصفها بأنها مؤامرة استطاعت أن تحقق بعض النجاح داخل البلاد .

ومع ذلك فلم يكن مكارثي مثل هتلر تماماً ، فبينما نجد هتلر يرسم برنامجه القادم لآلاف من السنين نرى مكارثي لم تكن لديه أية خطة معينة حتى لصبيحة الغد .

ولقد كان هتلر يهدف الى السيطرة التامة على جهاز الدولة على حين أنه يمكن المناقشة فى هذا الموضوع بالنسبة لمكارثي اذ أنه لم يشجع أبداً العمل المباشر بوساطة معاونيه ، كما لم ينظم مجموعات تتميز برد خاص لتؤيده ، كما أنه لم يقيم بتنظيم معارك شعبية .

انه لم يحاول مطلقاً أن ينظم تنظيمياً سياسياً ، خارج هيكل الأحزاب ،

لقد كانت حركته غريبة في نوعها بعيدة عن أن تكون حركة قومية شاملة ذلك لأن المكارثية لم تكن مبدأ أو تنظيمًا .

وكان رد الفعل الناجم عن أعماله هذه متباينا ، فبينما نجد أن البعض كان يؤيد مكارثي ويرحب بانتخابه رئيسا للجمهورية إذا البعض الآخر وهم الاغلبية الساحقة لا يهجه مكارثي في شخصه بقدر ما يهجه ما يقوله مكارثي عن الحكومة والتهم التي يوجهها اليها والنقد اللاذع الذي ينتقده . وكان هناك فريق ثالث لا يعنيه مكارثي في قليل أو كثير بل كان يعتقد أن مايردده مكارثي عامة مأهو الا هراء في هراء وان كان في قراره نفسه يشعر انه شخص له أهمية لاتنكر من ناحية أو أخرى .

والواقع أن السناتور الأمريكي مكارثي لم يستطع أن يقنع سوى عدد ضئيل جدا من الشعب الأمريكي بصدق ادعاءاته الا أنه استطاع أن يثير من حوله غبارا كثيفا ، ظن الكثير انه يخفي تحته نارا متأججة شديدة اللهب .

وكان معظم أنصاره من الجمهوريين يعتقدون ان سياسة مكارثي هي الطريقة الوحيدة لتقليم أظافر الحزب الديمقراطي والحد من سيطرته ونفوذه .

على أنه كان هنالك فريق من أنصاره يدعو الى الدوليهِ العالمية وزيادة الروابط مع انجلترا ، وفريق آخر يدعو الى ضرورة ازالة الفوارق الطبقية من الناحية الاجتماعية . هذا الى جانب الكاثوليك الرومانيين وخاصة من كان منهم من أصل ايرلندي ، فلقد ظن هؤلاء أن عهد مكارثي هو العهد الذي سيعوضهم عما قاسوه خلال العهود السابقة .

كان مكارثي في نظر كل هؤلاء رمزا للتمرد والعصيان، ولقد اتخذوا منه القائد الذي ستحقق على يديه آمالهم ، حتى لقد ظهر في الحياة الأمريكية أناس عديدون ، اشتهر بعضهم بالثروة ، واشتهر بعضهم بالقوة والسلطان ، واشتهر آخرون بالذكاء والسياسة . كانوا جميعا قبل ذلك في حكم العدم .

أما مكارثي فلم يكن سوى مجرد نموذج من أمثله عديدة من رجال البترول في ولاية تكساس ، وهؤلاء الرجال فعلا هم الذين أحبوهُ، وأحبوا طريقتَهُ هذه في تصريف الامور وأسرعوا في تأييده ومساندته معبرين عن شعورهم بأعدائه العربات الكاديلاك الفارهة الفاخرة الذهبية متنافسين في دعوته لحضور اجتماعاتهم . وإذا ما عرفنا ان من بين هؤلاء الناس من كان له شأن كبير في المحيط المالى والتجارى بدا لنا بوضوح كيف استطاع السناتور مكارثي تثبيت مركزه وتلقيم أقدامه على مر الأيام .

ولم يقتصر الامر على هؤلاء فقط . بل أيد مكارثي في دعوته هذه أولئك الذين يتغنون بالسياسة ويتشدقون بها دون أن يدركوا المعنى الحقيقي لتلك الكلمة ، يرددونها في مجالسهم دون علم بمعناها .

ومن طبقة المثقفين ظهرت فئة تؤيد مكارثي ، وكان منهم جيمس برنهام وجون تشامبر ، وماكس ايستمان وويليام بكلي وهم أفراد لا يمكن وصفهم بالحقاقة .

ومن أشهر ما كتب عنه فى تلك الآونة كتاب بقلم وليام ف. بى
ول ٠ برنت بوزل تحت عنوان « مكارثى وأعدائه » جاء فيه : ان المكارثية
هى حركة يمكن أن يلتف حولها كل شخص له خلق متين وعزيمة صادقة

ولم يكن الكاتبان ولا من سار على نهجها فى هذه الفترة على درجة
من البله والسذاجة ، ذلك لانهما كانا وغيرهما يؤمنان بأن عليهما أن
يتجنبنا شره وسطوته ويده الحديدية التى لا تعرف الرحمة والعدل ،
ذلك لان كلمة واحدة يتقوه بها ضد أى شخص كانت كفىسلة بأن تكون
بمناوبة أمر نافذ المفعول بطرد هذا الرجل وحرمانه من جميع حقوقه التى
يتمتع بها كإنسان له كيانه كغيره من المواطنين •

ولقد جاء فى استفتاء قام به معهد جالوب الشهير فى يناير سنة
١٩٥٢ عن مكارثى ان ٥٠٪ من الامريكيين يصفونه بأنه شخص معتدل
وانه يخدم بلاده بينما رفض ٢١٪ الادلاء برأيهم فى هذا الشأن ، وأجاب
٢٩٪ من الناخبين بأنهم لا يؤيدون مكارثى ولا أفعاله •

ولم تكن تلك النسبة المعارضة الضئيلة بذات شأن كما لم تكن لها
اية قيمة فعالة بالنسبة للسناطور مكارثى فلا غرابة اذن فى أن يخافه
ويخشاه معاصروه ويقيموا له كل اعتبار •

لم يكن مكارثى يشغل منصبا مرموقا فى حزبه ولم تكن ولاية
ويسكونسن ذاتها ذات شأن كبير فى المحيط السياسى ، على الرغم مما
كان يقال عنها بأنها عروس الجمهورية ، وهذه الحقيقة تجيب عن
تساؤلنا عما اذا كان لمكارثى مقدرة من الدرجة الأولى ؟ •

وظل هذا الحال نحو ثلاث سنوات كاملة من الخمس التى ازدهر
فيها وتالق نجمه فى السماء الامريكية الشديدة الظلمة • وعلى الرغم من
ذلك فقد تمكن مكارثى من أن يعمل ، وأن يشتهر وأن يفتدو قطبا يجذب
نحوه الآخرين فى وقت لم يكن له فيه شأن كبير سواء فى الدوائر الحكومية
او حتى فى شئون الحزب الجمهورى الذى ينتمى إليه •

ولقد استطاع خلال عام ١٩٥٢ أن يرتدى ثوبا فضفاضاً واصبح
اسمه معروفا ، ليس فى أرجاء الولايات المتحدة الامريكية ، بل أصبح
يقرع الأذان فى جميع القارات ، كما أصبح حديث الصحف والمجلات
العالمية ، حتى لقد اعتبرته جريدة الهيرالد تريبون بنيويورك ، خطأ ،
بأنه قوة طبيعية •

وفى ٣ يناير سنة ١٩٥٣ تولى حزبه مقاليد الامور فى البلاد ،
وهكذا وجد مكارثى نفسه فى الواقع ولمدة قصيرة أحد أعضاء الحكومة
وليس واحدا من المعارضين كما كان من قبل • ومنذ تلك الآونة انتاب
الموقف بعض التعقيد •

فعندما نظم الجمهوريون مجلس الشيوخ أصبح السناطور مكارثى
الذى كان قد بدأ مدته الثانية رئيسا للجنة الاعمال الحكومية واللجنة
الدائمة المتفرعة منها وهى لجنة التحقيقات • وكان من سلطة تلك اللجنة
بحث أعمال كل هيئة حكومية وسؤالها عما قد ترتكبه من مخالفات •

هكذا وجد مكارثي نفسه ممسكا بأعنة السلطان ووجد فيه سنداً قوياً متيناً لسياسته كما وجد في اللجنة التي يرأسها تأييداً لكل ما يريد اتخاذه من الإجراءات ، وعاونوه في ذلك عدد غير قليل من الموظفين الحكوميين ومن رجال القوات المسلحة الذين تطوعوا بمده مباشرة بما يريد من المعلومات ، ودانوا له بالطاعة والولاء ، بل كان هنالك عدد غير قليل من الضباط يعملون بناء على توجيهاته وآرائه لا بناء على توجيهات وآراء رؤسائهم ، فما أن يطلب منهم مكارثي شيئاً حتى يكونوا طوعاً وبه يمدونه بكل ما يريد من الأنباء والأخبار - ولو عرضهم ذلك للمجالس العسكرية كما كان من بينهم موظفون بالخارجية ومكتب التحقيق الاتحادي وديوان الموظفين وشكل هؤلاء جميعاً دائرة سرية في أجهزة الدولة المختلفة .

وحدث ذات مرة أن قام أحد ضباط المخابرات بأبلاغ مكارثي بعض المعلومات المتعلقة بأمن الدولة والخاصة بأجهزة سلاح الرادار الخاص بسلاح الإشارة في الجيش ، كان هذا مخالفاً من الناحية القانونية ، وجريمة يعاقب عليها القانون سواء بالنسبة للمضابط أو لمكارثي ذاته الذي تلقى هذه المعلومات . وفي خلال التحقيق بذلت الكثير من المساعي لاثبات أن من حقه كسنا تور أن يكون على علم بتلك المعلومات .

ولم يكن مكارثي بالشخص الذي يقدر القانون أو يغيره أي التفات ، وإنما كان كل اهتمامه أن يظل جهازه مصوناً وأن تكون وعوده بحماية من يعملون معه قائمة ، وفي أثناء التحقيق دار الحوار التالي :

السناتور ديركسن : (من ولاية إلينوى) « يا سناتور مكارثي هل تصلك المعلومات السرية بصورة استثنائية بصفتك رئيساً للجنة التحقيقات الدائمة في مجلس الشيوخ أو بصفتك عضواً في اللجنة فقط ؟ »

السناتور مكارثي : انه من الأمور التي تتكرر ليلاً ونهاراً بالنسبة لي أن ألقى المعلومات من أناس يعملون في الحكومة .

ديركسن : وهل هذا ينطبق على الكثير من الأجهزة الحكومية ؟
مكارثي : هذا حقيقي . هذا حقيقي .

وكان مكارثي يردد دائماً : سأواصل الحصول على المصاومات التي أريدها دوماً ... هذه هي سياستي ولن تكون هناك قوة على الأرض بمأنة من ذلك . انني أود أن أهنئ الأفراد الذين يقدمون لي المعلومات حتى تلك التي يختم عليها بعض الموظفين البيروقراطيين بأنها « سرية » من أجل حماية أنفسهم .

كذلك أود أن أذكر المليوني موظف العاملين بدوائر الحكومة المختلفة أن من واجبهم إمدادى بالمعلومات التي يعرفونها عن الفساد والخيانة وعن الشيوعيين ، وأن الولاء للرئيس المباشر للموظف لا معنى له على الإطلاق بالنسبة للولاء للوطن . كما أؤكد أن أحداً من هؤلاء الرؤساء لن يحميه مركزه مهما كان هذا المركز من ادانته وتوقيع العقاب عليه كذلك أؤكد أن أحداً لن يقف أمام القضاء بسبب ما يقدمه لنا من معلومات وبببانات « ان القانون هو أنا وأنا هو القانون » .

هكذا كان يقول مكارثي • لقد كان يعتبر نفسه والدولة شيئا واحدا •

لقد وصف السيناتور ستيفارت سيمبجتون ، من ولاية ميسوري الحكومة الامريكية في عهد مكارثي بأنها « اثناء يسيل فيه الدماء » •

وقد يكون من المؤكد أن الشيوعيين الذين مهدوا لظهور حركة سرية مناهضة للمكارثية كانت لهم شبكة أكبر من شبكة مكارثي ونوايا أسوأ من نواياه • الا أن شبكة مكارثي كانت فريدة في نوعها في العصر الذي نشأت فيه بل وفي جميع عصور التاريخ بسبب الولاء الذي كانت تمنحه لشخص واحد •

ومن الممكن أن يعيش الأشخاص أو ينتخبوا لمباشرة مهام حددها الدستور أو القانون ، وقد تكون أوراق اعتمادهم صحيحة أو أن رئيس الجمهورية خولهم سلطة تمثيله ، ولكن هؤلاء بالنسبة لمكارثي لم تكن لهم أي سلطة سوى ما يمنحه لهم مكارثي •

ولقد حمل مكارثي على الوزراء المدنيين وهاجمهم بشدة وقسوة وقال : « انه من العار الذي ينعكس على رجال وأفراد الجيش أن ندع حفنة من المدنيين يحاولون التحقق في نشاط الشيوعيين ويصفون أنفسهم بأنهم وزراء « للجيش أو للدفاع » •

وكان لقول مكارثي هذا صدى بعيد ، فقد صرح السيناتور كارل مونت من ولاية داكوتا أن مسألة استطاعة وزير الجيش الكلام باسم وزارة الجيش يجب أن تطرح جانبا الى ما بعد أن يقف الوزير موقف الشهادة •

وهكذا تشعبت سلطة مكارثي فسيطر على الجيش . كما سيطر على غيره من السلطات والدوائر الحكومية الاخرى • وفي هذا الصدد كتب هانسون بولدوين المحرر الحربي لجريدة التيمز بنيويورك سنة ١٩٥٤ ما يأتي :

« ان جيشنا الآن لم يعد هو جيشنا الذي كنا نعرفه من قبل اثناء فترة الهجوم على ألمانيا (يقصد جيش أمريكا اثناء الحرب) فلقد هبطت معنوياته واختل نظامه وكفائته ، وسواء عرف الرئيس دوايت أيزنهاور ذلك أو لم يعرف فان السيناتور جو مكارثي أصبح يشاركه في قيادة الجيش •

لكن هذا القول يعتبر مبالغة ، ذلك أن أيزنهاور كان يملك حق اعلان الحرب على حين لم يكن مكارثي يستطيع مثل هذا العمل ، هذا وان كان الكاتب لديه بعض الحق في هذا القول ، ذلك لانه لم يكن من حق مكارثي معرفة الامرار العسكرية ، ومع ذلك كان يعرفها متى أراد ذلك ودون أن يحرك أحد من المسؤولين ساكنا أو يبدي اعتراضا •

لقد كان لمكارثي السلطة في استثناء وزير الجيش ••• وكان هذا يلبي الطلب سعيها بهذا الشرف أو خوفا من سلطان مكارثي ولجنته •

وان نظرة الى الرجلين لتدل بوضوح على ان مكارثي كان يهمل هذا الرجل وكأنه ليس له وجود .

ولعل من الحوادث التي وقعت بين مكارثي وستيفنسن وزير القوات المسلحة ما حدث عندما أراد مكارثي استدعاء البريجادير الجنرال رالف زويكر أحد كبار رجالات الجيش المتقاعدين من فرقة المدفعية ، اذ صرح ستيفنسن بقوله : لقد أمرت بالا يظهر الجنرال زويكر أمام السناطور مكارثي يوم الثلاثاء في نيويورك ولا يمكن أن أسمع لأي ضابط من قواتنا المسلحة بأن يعامل تلك المعاملة غير اللائقة ، ولكنه سرعان ما عدل تصريحه عندما أفاق الى رشده بقوله : اذا ما قررت اللجنة استدعاء الجنرال زويكر فيجب على الجنرال الذهاب إليها في الوقت الذي تحدده له .

أما عن تلك المعاملة غير اللائقة التي جاء ذكرها في أقوال ستيفنسن الاولى والتي لم يشر إليها بعد ذلك فهي ما قاله السناطور مكارثي للجنرال بعد ذلك وهي كما يلي :

« انك عار لمن يرتدون اللباس الرسمي ، فانك تحمي المؤامرات الشيوعية . . . انك لا تصلح لان تكون ضابطا ، فانت رجس جاهل وستحاكم علنا يوم الثلاثاء القادم .

وفيما بين الخطاب الاول والثاني تناول ستيفنسن وزير الجيش الذي كان يحترمه من قبل كل من جيمس مونرو وجون كالهون ولويس كاس وأوليس جرانت واليهوردت وويليام هوارد تافت وهنري ل . سيمسون ، طعام الغداء مع مكارثي ونائب رئيس الجمهورية وعدد من أعضاء مجلس الشيوخ .

وقال مكارثي بعد ذلك « ان ستيفنسن ما كان ليستسلم أكثر من ذلك ، لو انه ركب على ركبتيه » هذا وان كان مكارثي قد نفى انه قال ذلك أثناء سماع شهادته في وزارة الجيش وبعد حلفه اليمين ، وكان هذا النفي لا معنى له فقد سمع أقواله مشاهير رجال الصحافة .

وذكرت صحيفة التيمز اللندنية عند ما سمع مراسلها ذلك ، ان مكارثي قد حقق اليوم ما عجز الجنرال بورجين والجنرال كورفواليس عن تحقيقه ألا وهو استسلام الجيش الامريكي .

واستمر الحال على هذا النحو طيلة عام ١٩٥٣ وبدايه عام ١٩٥٤ واستطاع مكارثي أن يستدعي للتحقيق كلا من رئيس المخابرات والميجور جنرال ريشارد . س . بارتروج وغيرهما .

وكان مكارثي هو السناطور الوحيد الموجود ، وتولى كبير المستشارين روى كوهن مهمة استجوابهم ، ذلك لان واحدا من العاملين في مكتب بارتروج قد وجد كتابا بقلم كوليس لامونت مسجلا في قائمة الكتب الموجودة بالمكتب ، والمعروف ان هذا الكاتب يعطف على الشيوعية والشيوعيين وقد ذكر ذات مرة في كتاب له أن الناس في سيبيريا لا يفكرون في الخروج على الشيوعية .

ولم تَمْض سوى فترة قليلة بعد انتهاء التحقيق مع بارتروج حتى

وجد نفسه قائدا لحدى الكتائب الفرعية التي لا اهمية لها فى مكان ما بأوربا .

ومن ناحية أخرى نجد أنه لم يحدث للميجور الجنرال كيرك لوتون أحد قواد الجيش بولاية نيوجرسي شيئا . ذلك لانه عاون السناتور مكارثى فى مده بالتحريات والبيانات عن تلك الكتيبة فى الوقت الذى كان فيه ستيفنسون وزيرا للقوات المسلحة ، وكان يرى نقل هذا الجنرال من منصبه وإبعاده عن الولاية ، لقد رفض مكارثى هذا الإجراء من جانب الوزير وظل كيرك فى منصبه برغم ألف وزيره أدلاى ستيفنسون .

وبات الموقف فى الولايات المتحدة الامريكية يوصف بأن الرئيس دوايت أيزنهاور إنما يشارك السناتور مكارثى فى الحكم سواء كانت تلك المشاركة بطريق مباشر أو غير مباشر ، ولم يكن هذا هو الشعور السائد فى الولايات المتحدة الامريكية فحسب ، بل ان أيزنهاور نفسه كان يشعر بهذا الاحساس ولكنه كان لا يستطيع منه فكاكا .

لم يكن هذا الاحساس غريبا اذن على الرئيس أيزنهاور ، ففي غضون الشهور الثلاثة الاولى من عام ١٩٥٣ أزيح ثلاثة من رؤساء ادارة المعلومات الدولية بناء على رغبة السناتور مكارثى . وفى شهر يونيو من العام نفسه بعث مكارثى باثنين من أتباعه وهما : روى لوهن ، ج . دافيد شين ، وهذا الاخير اشتهر بجهله المطبق عن الشيوعية . وما لبث أن أصبح فيما بعد المستشار الاول للجنة الذاهبية الى أوروبا لغرض تفقد شئون الوكالات الامريكية هنالك ، وبعد انتهاء الزيارة وعودة كل من البعوثين وتقديم تقرير للسناتور مكارثى حدثت تغييرات هامة فى تلك الوكالات .

وعندما قام الرئيس أيزنهاور بتعيين جون فوستر دالاس كوزير للخارجية تساءل الناس فى هذا الوقت وحاروا قimen سيكون المسئول الحقيقى عن تصريف شئون الدولة الخارجية هل هو دالاس بصفته الوزير الشرعى لهذه المهمة أم هو السير ماك لويده الذى عينه السناتور مكارثى مسئولاً عن الخارجية وضابطاً للأمن .

وكانت لدالاس حرية كتابة ونشر ما يشاء من الاحاديث يحذر فيها الروس من عاقبة تصرفهم ، وكان له بالإضافة الى ذلك الحرية التامة فى عقد أى مؤتمرات مع شائع كاي شيك على حين نجد أن الامر يختلف اذا ما أراد دالاس تعيين سفراء أو توظيف أحد أو الاستغناء عن بعض الموظفين ، لقد كان من الضرورى أن يتفق مع ماك لويده فى هذه الشئون - وكان هذا بدوره - يرجع للسناتور مكارثى فى مثل تلك الامور .

ولقد وضح هذا الامر بصورة خاصة عند ما اعترض السناتور مكارثى على تعيين شارلس و . بوهلن سفيراً للولايات المتحدة الامريكية بالاتحاد السوفيتى فقد أعلن مكارثى أن دالاس والرئيس الامريكى دوايت أيزنهاور قد تخطيا السير ماك لويده عندما قاما بتعيين بوهلن فى هذا المنصب

ولما كان كل من دالاس وايزنهاور يرغب فى الابقاء على قرار تعيين بوهلن فى هذا المنصب والحصول على قرار التأييد من مجلس الشيوخ

الامريكى ، ساعدهما وأزهرهما السناتور روبرت أ . تافت فى ذلك ،
وعندئذ قامت داخل أرجاء المجلس مناقشات حامية الوطيس حيث كان
مكارثى يتمتع بنفوذ كبير على أعضائه ، وانتهت المناقشة بالموافقة على
دعوة السناتور مكارثى فى عدم تعيين أى شخص آخر بعد ذلك فى مثل
تلك المناصب الهامة قبل الرجوع الى مكارثى والحصول على موافقته فى
هذا الشأن .

وفى ٢٨ مارس ١٩٥٣ أعلن مكارثى أنه بما لديه من سلطات فإن
له السيطرة الكاملة على شركات الملاحة اليونانية التى كان قد تمكن من
الاتفاق معها على عدم نقلها لأية بضائع شيوعية أو لاي دولة تسير فى فلك
الاتحاد السوفيتى .

وأعلن فى الوقت نفسه أنه فى صدد الوصول الى اتفاق مماثل
مع بعض الشركات الملاحية البريطانية .

وزاد على ذلك أنه قد توصل الى هذا الاتفاق بفكره وذلك لانه
لا يريد تدخل أحد فى هذه الامور .

وعندما أعلن هارولد . و . ستاسن رئيس ادارة الشؤون الاجنبية
فى تلك الآونة أن مثل هذا العمل الذى قام به السناتور مكارثى منفردا
انما يعد تعديا صارخا على سلطات وزير الخارجية وغيره من المسؤولين ،
عندئذ صرح الرئيس دوايت أيزنهاور بقوله :

ان ما أعلنه ستاسن لا يعبر الا عن رأيه الشخصى وأنه بصفته
رئيسا للولايات المتحدة لا يشاركه فى رايه هذا ، ولجأ رئيس الجمهورية
الى طريقة دبلوماسية فقال فى مؤتمر صحفى عقده بالبيت الابيض الامريكى
أنه لم يكن باستطاعة السناتور مكارثى التفاوض لمسدم وجود شيء
يتفاوض من أجله أو يتنازل عنه أو يتمسك به . وتجاهل أيزنهاور
حقيقة ان مكارثى كان باستطاعته أن يتفاوض بما لديه من سلطات
تخولها له قوة التحقيق التى لديه .

وقد ذكر أحد زملاء مكارثى فى اللجنة ويدعى السيناتور مونت أن
أصحاب السفن اعتقدوا أنه من الأفضل أن ينتصر مكارثى على أن يفقدوا
الشيء كله : وتبع ذلك دعوة دالاس لمكارثى الى تناول الغداء ، وبعد انتهاء
تلك المقابلة أصدر كل من دالاس ومكارثى بيانا مشتركا أعلنوا فيه أن ما قام
به مكارثى انما هو عمل يهدف الى الصالح الوطنى .

وهكذا كان الحال فى تلك الايام ، لقد كان أعضاء الكونجرس يسلمون
لمكارثى بكل ما يريد . بل كان يكفى مجرد التلميح حتى يحصل مكارثى على
الموافقة . ولا أدل على ذلك من أنه فى غضون فبراير سنة ١٩٥٤ طالب
السناتور مكارثى باعتماد مبلغ ٢١٤ ألف دولار للجنة الفرعية الدائمة ،
وبالرغم من أن الجميع كانوا يعلمون أن تلك اللجنة لم تقم بأى عمل ذى
قيمة فانهم وافقوا على اعتماد هذا المبلغ الذى طلبه ولم يبد صوت واحد
معارض سوى صوت السناتور ويليام فولبرايت من لاية اركنساس .

ولعل السبب فى ذلك أن كل فرد بات يرتعد عند مجرد سماع كلمة

مكارثي . لقد كان كل الاعضاء يؤمنون بأن مكارثي يستطيع أن يحطم أي معارض وكانت الشواهد تدل على ذلك .

لقد كان لمكارثي من السلطة الضعيفة ما كان يستطيع به أن يقرر دخول الاعضاء مجلس الشيوخ أو عدم دخولهم .

وفي عام ١٩٥٠ أعيد بعد مضي أسابيع على الخطاب الذي ألقاه مكارثي في قرية هويلنج انتخاب ميلارد تيونجز رئيساً للجنة التي ستنقل التحقيق في التهم التي وجهها مكارثي إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وكان تيونجز عملاقاً في مجلس الشيوخ ، ولم يكن هناك من هو أفضل منه ، فعلاوة على كونه رجلاً متديناً ثرياً فهو عضو الدائرة الداخلية في مجلس الشيوخ . وقد حاول فرانكلين روزفلت ١٩٣٨ عندما كان في أوج عظيمته التأثير على تيونجز ولكنه فشل .

ولكن مكارثي الذي لم يكن بالشئ الذي يذكر عام ١٩٤٩. هاجم تيونجز وانتصر عليه وكانت وسائل كلا الطرفين تختلف بطبيعة الحال .

ذهب فرانكلين روزفلت إلى ولاية ماريلاند وحاول اقناع الناخبين باختيار شخص آخر بدلاً من تيونجز بينما ظل مكارثي في واشنطن وأرسل العملاء إلى ماريلاند ينشرون الاقاويل التي مفادها أن تيونجز من الموالين للشيوعية .

وفي العام نفسه خاض مكارثي الحركة الانتخابية لصالح سكوت لوكاس الديموقراطي عن ولاية النيوز غير أنه لم ينجح في الانتخابات . وانتقل دور تيونجز ، كالد أعداء مكارثي ، إلى وليام بنتون كونتيكوت الذي قدم مشروعا إلى الكونجرس يطالب فيه بطرد مكارثي . ولم يطرد مكارثي إلا أن بنتون سقط بفضل تأثير مكارثي على أصوات الناخبين .

وبعد ذهاب بنتون حمل اللواء ارنست ماكفارلاند من ولاية اريزونا ولكن مكارثي استطاع أن ينزل الهزيمة بالبطل الجديد . ولقد أعيد انتخاب مكارثي ثانية في عام ١٩٥٢ وتسلم مهام منصبه في ٣ يناير سنة ١٩٥٣ وكان المجلس آنئذ يحسن صنعا لو أنه رفض مكارثي وقبوله عضوا فيه أو على الأقل مناقشة حقه في الانتساب للمجلس . وبالفعل كانت هناك عوامل عديدة تدعو لثل تلك المناقشة وفي عام ١٩٥٢ قامت اللجنة الفرعية المختصة بالانتخابات والامتيازات النيابية للجنة القوانين ببحث بعض تصرفات مكارثي السياسية والخاصة وذلك بناء على الاقتراح المقدم من السناتور بنتون . وقد توصلت اللجنة لاثبات أن مكارثي شخص لا يتورع عن اتباع أسوأ الطرق وادنتها لتحقيق رغباته ونزواته الشخصية ، ذلك لأنه ثبت بصورة قاطعة للجنة أنه قد اضاف لحياته الخاصة الكثير من الاموال التي كان قد جمعها من أجل الدفاع عن أمريكا دون استخدامها لمكافحة الشيوعية . كما ثبت كذلك أنه قد تسلم مبلغ ١٠,٠٠٠ دولار من مدير مؤسسة لسترون المستر كارل ستراند لند . كما أنه قام بتغطية بعض ديون مكارثي الخاصة الناجمة عن مراهقاته في السباق ، كذلك قام مكارثي باستثمار عشرة آلاف دولار في شركة الخطوط الجوية والبحرية وحقت ربحا قدره ٣٥,٠٠٠ دولار قبضها مكارثي ، كما ثبت أنه عندما كان عضوا

في اللجنة القرعية لشركة السكر حدث أن احتاجت شركة البيسبي كولا لكمية من السكر تزيد عن القدر المصروح به لها فقام مكارثي بتحقيق تلك الرغبة بعد أن اقترض منها مبلغ يربو عن الـ ٢٠.٠٠٠ دولار كان له أكبر الأثر في تحديد رواتب الموظفين بل وفي خفض نسبة ما تنتجه الشركة .

هذا بالإضافة الى ما اتضح للجنة من تدخله في الضرائب وقوانين البنوك والمؤسسات التجارية ومن قبوله للرشاوى والهبات . وعندما طلبت اللجنة من مكارثي المتول امامها الرد على تلك الوقائع استهان مكارثي باللجنة واتهمها بأنها لجنة شيوعية وأخذ في كيد الاتهامات لها بدلا من الرد على التهم الموجهة اليه ، بل انه أهان ثلاثة من رؤسائها .

وعندما حان وقت افتتاح الكونجرس عام ١٩٥٣ ظن الكثيرون أنه قد يرتفع صوت واحد على الأقل يعترض على أفعاله مكارثي في وجوده في هذا المكان . ولكن افتتحت الجلسة وانتهت دون أن يبرز هذا الصوت الذي توقعه الكثيرون . وهكذا تحطمت آمال الكثيرين بل زيادة على ذلك فقد أيدته الكثيرون وعصده .

وهكذا أيضا تمكنت المكارثية من تحطيم المبادئ والقيم الانسانية على حين رفعت من شأن التافهين والسوقة الفوغاء ، أو بمعنى آخر حولت الانظار عن الحاضر وركزتها على الماضي الذي شوهته ومسخته حتى أصبح من العسير التعرف عليه . وقد انكشف أمام سطوة مكارثي وزير الجيش وقدم الجنرال زويكر ضحية في الجدل العنيف حول ما اذا كانت ترقية الطبيب ايرننج بيريس من رتبة كابتن الى ميجور قد تمت بصورة لائقة . ولم يكن هذا الامر بلى أهمية نظرا لأن مدة خدمة الطبيب بيريس كانت تسمح له بذلك ولكن مكارثي ادعى أنه وجد في ترقية بيريس مفتاحا لتغلغل النفوذ الشيوعي في صفوف الجيش الامريكي .

أما عن أسباب إبعاد رئيس الفرقة الثانية فتعود الى اتهامه بقبول دعوة مكتبية لدراسة الوسائل الشعبية لسكان سيبيريا على حين كان الواقع أن رئيس الفرقة المذكورة لم يكن يعرف شيئا عن ذلك . وأما لماذا توالى الرياسات على هيئة الاستعلامات الدولية وصوت أمريكا ، فهذا يعود لشخصين تافهين هما كوهن وشين اللذان عثرا في مكتبة هيئة الاستعلامات الدولية على قصص وضعها كاتب موال للشيوعية ، ولأن موظفة شابة في صوت أمريكا شهدت انها تلقت دعوة من زميل لها بشأن قضاء اجازة نهاية الاسبوع .

لقد كانت لهذه الاساليب البائيه مكانتها الكبيرة لدى مكارثي ذلك لان المكارثية كانت قبل كل شيء هي البعد عن الواقع والهروب من الحقيقة ، فهي تعمل على تضخيم الاشياء التافهه وتجعلها أمورا هامة والعكس بالعكس . كما أنها تقلب الحقائق والاموز تبعا لمصالحها وأغراضها وتجعل من السفهاء عقلاء وتفسد أحلام العقلاء بالحكماء بالإضافة الى أنها تحول الانظار عن الحاضر وتركزها على الماضي . وأما فيما يتعلق بالشيوعية فليس ثمة أحد لا يؤكد شدة خطرها على أمريكا .

ففي تلك الفترة كان العالم الغربي يخشى من قوة الاتحاد السوفيتي

بل زاد من هذا الاحساس ظهور الصين الشعبية بملايينها المدينة كحليفة للاتحاد السوفيتي ومن سيطرة الروس على الاسلحة النووية الفتاكة .

وبعد انتهاء الحرب الكورية أيقن الجميع أن الاتحاد السوفيتي لن يتوانى عن الدخول في أى حرب يرغم عليه بما سيترتب على ذلك من مخاطر وأصبح العالم الشيوعي في أوائل عام ١٩٥٠ ذا تأثير كبير داخل الولايات المتحدة حتى لقد برزت في الأذهان الأمريكية ضرورة تكوين قيادة متحالفة تستطيع الوقوف أمام التهديد السوفيتي بزعامة أمريكا .

لكن المكارثية أغفلت تلك الحقيقة وركزت جهودها لمحاربة الشيوعية في مظهرها فقط ، ولا أدل على ذلك من تصريح مكارثي عام ١٩٥٢ عندما أعلن أنه : لم يعد يهم رجل الشارع أو المزارع أو العامل أو الموظف سوى تغفل الشيوعية داخل الحكومة وأضاف الى ذلك قوله : « أن النضال ضد الشيوعية العالمية إنما هو ابتعاد عن نضال الشيوعية نفسه داخل البلاد » .

وتحدث مكارثي عام ١٩٥١ عن تدخل الولايات المتحدة في حرب كوريا فقال : « لقد عملت الحكومة التي لم تقم بمحاربة الشيوعية في الداخل على محاربة الشيوعية في الخارج » .

وكان من الممكن ألا يكون لهذا الكلام أية أهمية في أى وقت آخر ولكنه في عام ١٩٥١ ، ١٩٥٢ كان له شأن آخر .

وتاريخ الشيوعية في أمريكا يرجع الى الثلاثينات (١٩٣٠-١٩٣٩) وأوائل الأربعينات من هذا القرن وذلك عندما برزت للوجود أول حركة شيوعية في البلاد وتكون أول تنظيم شيوعي داخل الحكومة وكان من أهم أعمال الحكومة وقتئذ تحطيم هذا التنظيم والقضاء عليه .

وما أن حل عام ١٩٥٠ حتى تمكنت الحكومة من القضاء على تلك المنظمات والقاء القبض على زعمائها ، وعلى جواسيس النذرة .

وفي عهد ترومان طبق نظام خاص بالأمن في دوائر الموظفين بصورة مشددة إذ أن هذا النظام كان معمولا به منذ أوائل الحرب وكان هذا النظام سببا في اداة المجرهيس عام ١٩٥٠ بعد طرده من الحكومة عام ١٩٤٦ .

وقد ألق مكتب التحقيقات الفيدرالي عن اهتمامه بلصوص البنوك وتجار العبيد وتوجه باهتمامه الى الشيوعية . وكان الحزب الشيوعي آنذاك في حالة شديدة من الانقسام بسبب خيبة الأمل التي أصابت معظم أعضاء الحزب ، ولأن الحكومة اعتقلت معظم أعضائه وزعمائه . وبالرغم من جميع الأحداث التي كانت قائمة آنذاك فإن مكارثي لم يهتم إلا بقضية الميجور بيريس واختبار كورليس لامونت الفتاة التي سمعت حديثا قافها في إحدى هيئات الدعاية .

ولا شك في أنه كان هناك بعض العملاء الشيوعيين في أوساط الحكومة ، كذلك فإن الشيوعية ليست الا مؤامرة دولية ، وقد تمكنت في الماضي من التغلغل في أجهزة أمن عدد من الدول كالمانيا النازية واليابان الامبراطورية ، وقد يكون من المهش الأيوجد بعض الشيوعيين بين مليونين

أو ثلاثة ملايين موظف تستخدمهم حكومة من الحكومات • ولكن الأضرار التي يستطيع هؤلاء القيام بها غير ذات بال •

وقد اتخذت في أمريكا الخطوات اللازمة قبل مجيء مكارثي للكشف عن العملاء وتحديد الأضرار التي يستطيع من بقي منهم أن يحدثوها في البلاد •

وإذا كان مكارثي قد كشف النقاب عن بعض العملاء فإنه في الواقع لم يفعل شيئا لوقف نشاط من بقي من العملاء •

وحتى إذا قيل أن مكارثي قد أحسن صنعا فإن المكارثية لا تزال تتردى في أوهام خطيرة وهي تصر - كما قال فيليب راف - على أن الشيوعية خطر لا على الولايات المتحدة ، ولكن في داخل الولايات المتحدة على حين أن العكس هو الصحيح •

الفصل الثاني

حياة مكارتى وأعماله

يقول جيمس فاينمور كوبر فى كتابه (الديمقراطية الأمريكى) : ان المسرح الحق لزعيم الفوغاء هو الديمقراطية ذلك انه عندما لا يكون للرأى العام أى سلطان فلن يكون لمضلل أى دور يقوم به .

ولقد كان لدى الاثنيين زعماء للوغاء فى كل ركن من اركان اثينا . انهم كانوا يطلقون (الكلم) وكانوا يحددون معناه ويكررون فى ذلك .

ويقول يوربيديس فى كتابه (اوريستز) ان زعيم الفوغاء رجل مفلوت اللسان متطرف يؤمن بالفوضى والشغب ، ويقود الى الهلاك من حوله بكلمات فارغة . كالطبل الاجوف . ويقول اريستوفانيس فى مؤلفه (الفرسان) من الخصائص اللازمة لزعيم الفوغاء ان يكون قذر اللسان حقير المنبت ، وضيعا .

ولعل كل هذه الاوصاف وغيرها تنطبق على مكارتى بسبب اساليبه الدنيئة التى كان يتبعها ، ويساعده على ذلك مواهبه الطبيعية ومناخى الذكاء الحارقة التى كان يتمتع بها . فلقد كان مفلوت اللسان يقول أى شيء بطراً على ذهنه ثم يبحث بعد ذلك عن أسباب يبرر بها ما قاله .

كما انه لا يوجد ما يدل على انه هو نفسه كان يؤمن حقاً بما يقول أو انه كان يصدق ما كان ينشره من زيف ومغالطات .

كان يؤمن بالفوضى ويظهر انه كان يعرف جيداً اسرارها وطرقها . وقال له ذات مرة جوزيف ل . ويلش مستشار الجيش بالحرف الواحد :

(انظر الى نفسك يا مكارتى . . . انك تملك عبقرية فذة من أجل خلق جو من الفتنة والفوضى وبث الاضطراب فى عقول المواطنين) وكان جوزيف على حق فيما ذكره ، ذلك لان سياسة مكارتى لم تكن لتخرج عن كلمات ثلاث هي :

١ - الضوضاء .

٢ - البلبلة .

٣ - الفوضى .

ولمعله لم يكن يسمى مطلقاً للقوة والتقلب فى الميظان حتى يبلغ منصب الرئاسة الامريكىة . وانما كل ما كان يسمى اليه هو المجد . قال ذات مرة لصديق له (انه اما ان تنتهى حياته فى البيت الابيض أو فى السجن) .

ولقد استخدم مكارثي السلطة ولكنه كان في ذلك مثيل نابليون
بونابرت يستخدمها كالكمال ليشنف بها أسماعه . ولقد كانت الانتصارات
التي يحققها - شأنه فيها شأن نابليون - أغلى من المركز الذي كانت تحققه
هذه الانتصارات لهما .

وكان لديه ما يدعو الى الاعتقاد بوجود نيف ومائة شيوعي في ادارة
المخابرات المركزية . وقال انه يعتزم القضاء عليهم وتمعدت المشكلة .

واعلن رئيس الجمهورية أن لجنة برئاسة الجنرال مارك كلارك تبحث
هذه المشكلة ، ولكن التحقيقات لم تسفر عن شيء . وكان باستطاعة
السناتور مكارثي أن يتغلب بسهولة على المعارضة ويحقق ما يريه ، ولكنه
أدرك بطلته أن هذا النصر سيكونه أكثر من أي انتصار آخر . لأنه يتطلب
جهودا جبارة دون أن تكون له فائدة كبيرة فقال : اعتقد أنني سأتحلى عن
هذا . وهكذا بقي الحال سيئا حتى وقتنا هذا .

كان مكارثي شخصا سليل اللسان دائما . شخصا وضيعا بكل
ما في تلك الكلمة من معان . لا يريد من انسان أن يهتم بأحد سواه . كان
بدائيا في الفاظه وسلوكه وربما في غريزته وإذا استطاع مكارثي أن يخفي
الجانب الانساني في نفسه . فانما يرجع هذا لادراكه عدم ضرورة هذا
الجانب في أعماله .

ويبدو أن مكارثي أدرك حاجة الجميع الى بطل ، لان الشعب كان
مضطربا ، ولأن الجميع كانوا غير سعداء ازاء عملية التقريب بين جميع افراد
الامة ، وصرح بذلك في قوله (انني غير راض لأن الحاجة قوية في هذه
الظروف ، ويستطيع المرء أن يدرك بسهولة أن الشائرين في المجتمعات
التي يسودها الظلم وعدم المساواة يميلون الى التشفيف والزهدي . ومثال
ذلك روبسبيرز ولينين وغاندي وقيدل كاسترو أما في ظروف قريبة الشبه
من ظروفنا فإن المرء يجد أشخاصا كهتلر وموسوليتي) .

وعموما فقد كان مكارثي يفخر بشهرته في القسوة والعنف والتهور
والوحشية . ولم يكن يبالي عند ذهابه الى واشنطن بأن يهدد وزير الجيش
روبرت ستيفنسون بخلع رأسه اذا لم يؤيده هنا في قضية الجنرال
فويكر . وقد ذكر مكارثي لجمهور الناخبين في ولاية ويسكنسن أنهم اذا
سألوه تأييد أحد مستشاري ادلاي ستيفنسون في الانتخابات ضد
ستيفنسون نفسه لفعل ذلك ولاستطاع المستشار أن يفوز .

وكان أنصاره يتقبلون جميع أقواله وكانوا يبتهجون لعظمه قائدهم
وزعيمهم ، ومن الأشياء التي كان يفعلها السناتور مكارثي أنه كان يحشد
المؤيدين لحركته . وكان مكارثي في الوقت نفسه عدوا للشخصية وللإبداع
وللإستقلال وللفكرة المفامرة ، وبالرغم من أن المكارثية لم تكن مذهبا بأي
معنى من معاني هذه الكلمة أو مبدأ فانها دعت الى إصدار أحكام منهجية على
الآخرين . كما أنها خلقت جوا كانت الفتنة فيه شيئا تحوطه الشكوك
والريب ، ويتطلب تفسيرها وتوضيحها واعتذارا وليس من الصواب القول
بأن المكارثية حاولت أن تفرض قبولها على الناس فرضا ، كما أنه لم يكن

لها هدف ايجابي . ولكنها كانت تسعى وراء الفوضى والقضاء على
اعداها .

ولا شك أنه أمر يدعو الى السخرية ان هذا الرجل الذي كان يدعو
الى توافق الناس جميعا كان ثائرا بفطرته . وكان أقل الساسة ميلا الى
التناسق مع غيره ، كما كان ميلا للمعارضة والانشقاق لا لشيء اللهم الا
لغرض المعارضة ولخلق الانشقاق فقط . لقد كان يهاجم الهيئات والسلطات
التي تعتبر معقل التناسق والوئام كالجيش ورجال الدين البروتستانت
والصحف والحزبين الكبيرين والموظفين والساسة . وكان يعمل بوحى
داخلي ، كما انه وصل للذروة في وقت كان رجال العلاقات العامة والاعلان
مثل روبرت مونجستون وغيره يكتبون قواعد السياسة ، لم يتيح مكارثي
في حياته ما اتبعه أى قائد من قبل كما انه لم ينتم الى أى تنظيم
سياسي معروف .

كان مكارثي يعارض كل لجنة وكان يهاجم كل سلطة لغرض الهجوم
ولم يفكر مرة واحدة . تفكيرا ايجابيا في أى موضوع وكان يردد دائما
قوله : انه يحاول ايجاد تضامن قومي في وقت كان هو فيه يهدم كل تضامن
واتفاق داخلي .

هذا الى جانب أن مجرد وجوده كان هجوما صريحا على السياسة
الامريكيين ولم يكن يهتم في كثير أو قليل رأى الناس فيه . لم يكن يهتم
كثيرا أن يسمع أن الناس يحترمون ويقدرونه كما أنه لم يكن يهتم بأن
تبرز صورته محتلة الصفحات الاولى من الجرائد والمجلات أو أن تعرض
الساعات الطويلة على شاشة السينما والتلفزيون . كما أنه لم يكن يعنيه
أن يبدو متحمدا على الأرض مخمورا ممسكا بيده زجاجات الويسكي
والشامانيا .

ومن المعروف أن السياسيين في كل مكان يحاولون إخفاء ولعهم
بالشراب أو السباق أو المقامرة ، ولكن مكارثي كان يعلن ذلك على الملأ في
كل مناسبة ، وكان يشعر بارتياح وسرور تام اذا عرف عنه الناس أنه
سكر من الدرجة الاولى ، أو أنه خبير بشئون المقامرة والسباق ، ولم يكن
يتحرج اذا ما شاهد سيدة أثناء الادلاء بشهادة أو حديث أن يطلب من أحد
معاونيه معرفة تلك السيدة ودعوتها لقضاء سهرة حمراء معه .

وفي ١٩٥٣/١٢/٣ كتب كل من جوزيف وستيوارت السوب يقولان
ان مكارثي هو السياسي الأول في البلاد التي يمكن تسميته فيها بالكاذب
المخادع . دون أن يخاف من هذا التشهير . وكان مكارثي بحق كاذبا من
الدرجة الاولى . . . حتى أن الحقيقة كانت تختفي في فمه وتخرج منه كذبا .
كان بينه وبين الصدق ود مفقود . ولقد اقترح أحد الكتاب ويدعى
توماس جريغز أن يكتب على قبره بعد موته تلك العبارة « لم تكن الحقيقة
فضيلته » . والواقع أن الكذب كان صفة التصقت به منذ عام ١٩٣٩ عندما
رشح نفسه لمنصب قضائي في بلدته ويسكونسن وكان عمره وقتئذ لا يتجاوز
٣١ عاما . على حين كان عمر منافسه ٦٦ عاما . ولقد تجنب مكارثي الصدق
فاضاف الى عمر منافسه ٧ سنوات . واشاع بين الناس أنه يبلغ من العمر
٧٣ عاما ، وسرعان ما ادعى أنها ٩٨ عاما .

وفي ذات مرة عندما كان يلقي خطابا سياسيا له ذكر فيه . انه يمسك بيده قائمة تضمنت اسماء ٢٠٥ من الشيوعيين يعملون في وزارة الخارجية الامريكية على حين لم تكن تلك الورقة سوى خطاب مرسل في عام ١٩٤٧ من وزير الخارجية الامريكي جيمس بيرنز الى الامتاذ ادولف سبات محتوى على احصاءات خاصة ببعض شئون وزارة الخارجية ، بل لعل تلك الورقة لم تكن تتضمن سوى اسم المرسل والمرسل اليه . ولا تتصل من قريب أو بعيد بالشيوعية والشيوعيين .

كان مكارثي جريئا صريحا ، ولو لم يكن كذلك لاستطاع ان يتجنب التنديد به من جانب مجلس الشيوخ . مما قضى على نفوذه فيه وقال عدد من الاشخاص الذين اشتركوا في الدفاع عنه انه كان بالامكان الحيلولة دون توجيه اللوم اليه بايجاد حل وسط . وما كان هذا يكلف سوى خطاب اعتذار من قبل مكارثي لبعض الذين وصفهم بعملاء الشيوعية ووعده بان يسلك سلوكا حسنا في المستقبل .

ولو وافق مكارثي على ذلك لطلب البت الابيض سحب قرار اللوم ضده ، فقد عارض القرار نصف الجمهوريين في النهاية وكان من الممكن اعفاء الكثيرين ممن ايدوا القرار من هذا الواجب البغيض .

وقد وضع نصوص الحل الوسط محامي مكارثي ادوارد بينت ويليامس ووافقت زعامة الجمهوريين في مجلس الشيوخ عليها ، وعلم أن الديمقراطيين ما كانوا يريدون الموافقة على قرار اللوم بدون تأييد قوى من الجمهوريين ولكن مكارثي لم يؤيد فكرة التسوية والحل الوسط مع أنه كان باستطاعته تقديم الاعتذار بمثل السهولة التي يوجه بها الاهانة .

وقد اعترف مكارثي بإمكانية ارتكاب الخطأ وقد ذكر مكارثي أمام لجنة واتكنز : لقد قيل أنني سبب الانشقاق وتمزيق الصلابة في البلاد . وفي الحزب الذي انتمى اليه ، هنالك انشقاق ويحتمل أن يكون النشاط جزءا من سببه . ولكنه رفض قبول الحل الوسيط لانه سيسيء الى اثنين من كبار أنصاره في المجلس وهما : وليام جينز من انديانا وهرمان ويلكر من اينداهو . وقد عمل الاثنان ليل نهار ليس لتجنب اللوم وانما للحصول على تأييد لمكارثي .

وقال ويلكر مرة عن مكارثي . ان هذا البحار الايرلندي المحارب يعطى قميصه لكل من هو بحاجة اليه باستثناء كل من هو شيوعي قدر كاذب . ولم يكن مكارثي يعيل الى قتل الشيوعيين . وحدث ذات مرة أن علم مكارثي بأن أحد ضحاياه ينزف من الجراح التي لحقت بسببه وانه معوز لا يملك شروى فقير فما كان منه الا أن بحث عن هذا الشخص حتى عثر عليه وأخبره بأنه سيساعده على متاعبه المالية ، وقد رفض الرجل معتقدا أن مكارثي يعتزم نزع كرامته منه والقضاء على سمعته الطيبة ولكن مكارثي ما كان يريد شيئا من هذا .

وقد تحدث جيمس ويتشيسلر محرر صحيفة النيويورك بوست عن انطباعاته عن مكارثي بعد أن قضى في شهادته أمام اللجنة الفرعية الدائمة عدة أيام فقال : انه قد لمس في مكارثي عنصر الضجر وخيبة الأمل .

لقد شعرت أن مكارثي انما يريدني أن أفهم وجهة نظره فقط ولقد نظر العالم الى مكارثي نظرة جدية . وهذا ما لم يفعله هو بنفسه . لقد تزعم حركة متطرفة وأعطى اسمه لمبدأ متطرف ، ولكنه لم يكن متطرفا في قرارة نفسه . ومن المعتقد أنه بدأ في أواخر أيامه يدرك ماذا قال ويتصور نفسه قد تعرض لاضطهاد اعدائه وفي ابان شهادة مكارثي فيما يتعلق بالجيش حدث أن أصيب السناتور مكارثي بنوبات أشبه بالهستيريا . وكان باستطاعة مكارثي التحكم في أعصابه وفي عواطفه مهما كانت حالته والموقف الذي يقفه .

ولقد كان مكارثي يحن أبدا للحقد والكراهية والعناد ، التف حوله الحاقدون . وبكلمة منه كان حقدهم يذهب أدراج الرياح ، كما أنه بكلمة أخرى كان يشتد حقدهم حتى يصبح سما زعافا . ولقد كان هذا الحقاد المخطير الذي لم نشهد مثله في تاريخنا ، بعيدا عن الحقد الحقيقي والعداء الصحيح ، فلم تكن لديه القدرة على ذلك بل انه كان يلقى الأمر كله ولا يستطيع فهم أى شخص لا يحذو حذوه .

وعندما توجه نحو دين أتشيسون في مجلس الشيوخ يود أن يصفحه في المصعد رأى أن رد أتشيسون على تحيته كان غير ودي . وفي أثناء شهادته في تحقيقات الجيش هبط مكارثي الى ما وصفه ردى كوهن بأنه . منتهى الانحطاط الادبي والخلقى عندما حاول أن يواجه هجوما قويا من جوزيف ويلتشس بهجوم مضاد ، وجهه الى أحد زملاء ويلتشس ، وكان هذا الزميل لا علاقة له بهذه القضية من قريب أو بعيد وقد انحاز الجميع الى صف ويلتشس عندما خاطب مكارثي بقوله :

« حتى هذه اللحظة أبها السناتور ، اعتقد اننى لم اعمد الى قياس فسوتك وتهورك . ولو كان من صلاطتي العفو عنك لفسوتك المتهورة لفعلت . يهمني أن تعتقد بأننى انسان نبيل ولكن العفو عنك سيأتى من قبل شخص ستواى » .

وعندما عثر مكارثي فى النهاية على من يحدثه رفع يديه قائلا : ماذا فعلت ؟ لقد كان يعلم ماذا قال ، ولكنى أعتقد أنه لم يكن يعلم ماذا فعل . وكان مكارثي يعتقد أن هناك خلافا شامعا بين الكلمات ومعناها . ولعل هذا القول هو خير ما ينطبق عليه عند ذكره للحقيقة والصدق .

يحكى أنه ، بينما كان مكارثي مدعوا فى حفله فى واشنطن قابل زميلا له من قبل وشي به كمناصر للشيوعية . ولكنه ما أن رآه حتى سارع اليه مضافا . وأخذ فى السؤال عنه ناسيا ما نسبه اليه من قبل قائلا لقد كانت زوجتى تحدثنى عنك الليلة البارحة فلماذا لم نرك منذ وقت طويل . ترى هل تتجنبننا بحق السماء . وكان الرجل يحملق اليه أثناء كلامه هذا بذهول واستغراب .

ويبدو أن مكارثي كان على علم بالعلاقات الانسانية فقد كان يعرف مخاوف الناس ، وبواعث قلقهم . ولكنه كان لا يغيرها أى اهتمام ويجب ألا يفوتنا أن نذكر تلك الواقعة الشهيرة عندما قيل لأحد الصحفيين الانجليز : وهو فى مكتبه بلندن أن مكارثي رجل وحشى بل هو حيوان كبير . وسرعان

ما غادر الصحفي لندن الى الولايات المتحدة مقررا بينه وبين نفسه ضرورة الاتصال بمكارثي شخصيا وبوصوله تمكن من تجديد موعد لمقابلته ودار بينهما الحديث الآتي :

مكارثي - ماذا عندك . يدعى البعض بأنك صحفي خطير . هل لك في الشراب معي ؟

الصحفي - سناتور مكارثي . يهمني أولا أن تعرف أنني احتقرك واحتقر كل ما تعمل . وكل ما تمثله أنت بشخصك . ويجب أن تعرف رأيي فيك وهو أنك باختصار تمثل أكبر قوة للشر في العالم الآن .

مكارثي - لاداعي لتنفكه . لك في الشراب معي ؟ لدى البوردون الشهير .

الصحفي - لقد أخبرتك يا سناتور بأنني احتقرك واکرهك . وقد حضرت الى هنا لكي أفضع شخصك للجميع . فلا تحاول أن تكون طيبا متلطفا معي .

مكارثي - سنتكلم فيما بعد . فهل لك الآن رغبة في الشراب معي .
الصحفي - سأبدأ الكلام الآن . وأريد في الوقت نفسه أن أجعلك بأنك لن تنال مني شيئا . فقد راقبت جميع حركاتك وسكناتك من سنوات عدة .

مكارثي - بحق المسيح هل ستشرب معي ؟

الصحفي - سأشرب إذن . . . على شرط أن تعرف أن هذا الشراب لا يعني شيئا . ولن أصحب كلمة من كل ما قلته عنك . اتسمح لي بكأس من الويسكي ؟

مكارثي - حسنا . وهل تريد ثلجا ؟

وهكذا ظلت المحادثة بينهما ، وكان الصحفي لا يفتأ يردد دائما رايه فيه وخرج الاثنان بعد مدة للذهاب الى طيبب أسنان مكارثي معا وعادوا ثانية ليكملا حديثهما في بيت مكارثي حتى الصباح . وعاد الصحفي وقد خفت حدة ثورته وخلت مقالاته من الهجوم العنيف عليه كما كان ينتظر البعض وذلك كانت سياسة مكارثي . ولا أدل على ذلك مما ذكره علو مكارثي اللدود جون هوننج : « انني بالرغم من عدائي الشديد لمكارثي أحب صحبته وأرغب دائما فيها » . ويستمر جون هوننج فيقول أمابا للنسبة لي فقد عرفته قبيل بزوغ نجمه كعلم من الاعلام . وازدادت معرفتي له بعد ذلك . ولم أكن أميل اليه كثيرا ولكنني كنت أحب الحديث معه . وفي عامي ١٩٥١ ر ١٩٥٢ وجدت أنه من المستحيل الا البى هذه الرغبة . وانتهزت كل فرصة لاشاهده وهو يعمل . ولكنني لم أكن أحبذ صحبته . ولم يكن باستطاعتي أن أسيطر على نفسي ، أو أشتيع بوجهي عنه عندما يوجه الى تحية ويستمر في القول : وأسلوب مكارثي على حسب ما اعتقد شديد الشبه بفتة من الرياضيين الامريكيين الذين يكسبون ويمرحون . والذين يعلقون أهمية كبيرة على الكسب بأيسر السبل دون جهد أو عناء كبيرين .

وفي عام ١٩٥١ غير مكارثي توقعه من جـسـوريف مكارثي الى جو مكارثي ، وهو اسم مدير سابق لاحتى مؤسسات نيويورك . وكان يجب أن يشاع عنه كسياسي أنه يستخـم كل شيء في سبيل اغراضه واعتقد أنه لم يكن يدرك أنه لا مكان لمثل هؤلاء الناس في عالمنا الاخلاقي .

وقد حدث أن وجه السناتور جون بريكر وهو من المحافظين في ولاية أوهايد كلمة للسناتور مكارثي في مجلس الشيوخ : « جوانت ولد قدر ومن نسب الكلاب » . وقد سر مكارثي من هذه الإهانة .

ولقد حاول كثير من علماء النفس والاجتماع تفهم حقيقة مكارثي هل هو ضيع ومتوحش ؟ هل كان يعشق تحطيم الغير والحط به ؟ هل هو رجل معدوم الضمير والاحساس ؟ هل كان في كل جلبته وضجته هذه عديم الغاية والهدف ؟ هل كان في حقيقته رجلا مغشوشا مرتبكا ؟ وأخيرا هل كان ظاهرة نفسية فريدة جذيرة بالبحث والتمحيص ؟

لقد عزا أحد العلماء النفسيين تلك التصرفات الى اصابة السناتور مكارثي بمرض حب العظمة والظهور . . . ان الحياة عنده سلسلة متصلة من المؤامرات والمهازلات . وهي في نظره وجهة لشخص مكارثي نفسه هون غيره . ذلك لانها كلها انما تنبعث من نفسه الدينية المنحطة . ويستمر الكاتب في قوله . انه على خصوص مكارثي مواجهته والهجوم عليه باستمرار وبدون توقف اذا ما أرادوا التغلب عليه .

ويذكر عنه كاتب آخر وكان ذلك ابان عام ١٩٥٤ فيقول ان المفتاح الى فهم شخصية مكارثي هو معرفة شعوره بعدم الأمن والشك في نفسه . بل احتقاره لها . . كما أنه لا يعترف بالقوة والشجاعة والعدالة الا اذا حققت اغراضه ، اما اذا عجزت عن تحقيق ذلك فانه يغفلها ويشوشها .

وعلى الرغم من أنه كان يتجاوز في كثير من أعماله حدود العقل ، كان يتمتع بالفطنة والذكاء وكانت له بالإضافة الى ذلك القدرة على حماية نفسه من سيطرة عواطفه وأهوائه . ولكنه كان اذا ما خانت فطنته وذكأؤه ادعى المرض . وتلك هي فرصته الوحيدة التي يتمكن بواسطتها من الهرب . وكان الارهاق هو عدوه اللدود .

كان الكثيرون على يقين بأن مكارثي مصاب بالشيزوذ الجنسي وكان الدليل على ذلك واضحا . فقد عثر على أحد أفراد حاشية مكارثي وهو في وضع شاذ في لافايت بارك . وروى بعضهم قصة عن واقعة جنسية شاذة مع مكارثي ، في اجتماع سياسي في ولاية ويسكنسن قبل مجيء مكارثي لواشنطن بعدة سنوات .

وهناك بالإضافة الى ذلك موقف مكارثي من النساء في الحفلات ، وقد تمكن بعض أعدائه من السعي للحصول على مزيد من الأدلة في هذه الناحية غير أن محاولاتهم بادت بالفشل .

وليس ثمة شك في اهتمام مكارثي بنفسه الى حد بلغ الافراط والشاهد على ذلك ما حدث في مجلس الشيوخ عندمالقى خطابا على جانب كبير من الاهمية بالنسبة له واستمع اليه الجميع باهتمام ، وكانت لحظة

يجدر به ان يحلها محل الجد غير أن اهتمام مكارثي انصب في هذه اللحظة على مفزوف وصل الى مكتبه وفيه صورته وقد اقتطعت من احدى الصحف ووضعت داخل المفزوف .

وبينما كان مكارثي مشغولا انسل من مقعد الى آخر وهو يهمس في اذن زميله ويخبره بالدليل الجديد على ما بلغ اليه من شهرة وصيت .

وكان مكارثي شديد الحساسية . وكانت يده ترتجفان دائما . وكانت الامراض المعدية تلازمه بلا انقطاع . روى أحد اصدقائه أن معدته كانت دائما ملتعبة . ولا يشك أحد ممن حاولوا رؤية مكارثي في أنه كان شاذا . حتى أنه لم يكن يستطيع الاتصال بالحقائق التي كان بحاجة اليها كزعيم غوغائي ينادى بالهروب من الواقع . وبالنسبة لكثير منا ممن شاهدوا مكارثي في واشنطن فإنه برغم الشنوذ في سلوكه كان رابط الجأش هادئا .

وبالرغم مما كان يوجه لمكارثي من سهام وطعنات ، فإنه ما انهار تماما . مع أنه كان يدعي ذلك أحيانا . وكل ما فعله انما فعله للحصول على نتيجة اعدھا مقدما وامتدحھا ووصفھا بأنها سليمة وأرى أنه مهما تبين من سلوكه ومهما كانت دوافع ذلك يمكننا أن نصف مكارثي بأنه منافق وخبيث بمعنى الكلمة .

وهذا يجعله ينفرد بشخصيته . فان الرجال الذين يتميزون بالثبوت الحقيقي انما هم قلة على حين أن المنافقين في مجتمعاتنا على الاقل يتمسكون كثيرا بصدقهم . وأما بالنسبة للنفاق فان المرء لا يستطيع أن يمارسه بدون أن يعترف بالحقيقة داخل نفسه . وإذا أراد الانسان أن يكون من الهرطقة أو المنافقين فعليه أن يرى شخصه كلما نظر الى المرأة . وتلك هي مقدرة الانسان في خداع نفسه . اذ أن لكل مخطيء ولدته امرأة جبلة لاقتناع نفسه بأن أعماله الحقيرة نافعة في مجال من المجالات . وقد قال الدكتور جونسون ذات مرة : ان هنالك بعض الاخطاء في هذا العالم لا تنطوي على حق في ذاتها كما يعتقد مديروها . ويبدو لي أن قلة من الرجال يمكن وصفهم بالهرطقة والنفاق حتى عندما لا يكون واضحا أمام الجميع أن أعمالهم تنافي مع ما يدعون اليه .

وفيما يتعلق بالمؤمنين بالمكارثية فانه من السهل أن نرى تبريرا لهذا : ذلك أن جميع المنظمات الوطنية ترى أن تدمير الشيوعية أمر مقدس أو مهمة سامية . وان مكارثي يفعل شيئا في هذا السبيل . ويرى روبرت تافت والجمهوريون الذين أيدوا مكارثي في الكونجرس بأن البلاد في حاجة الى زعماء جدد ، وان مكارثي يفعل شيئا في هذا السبيل . وكان كل شيء في نظر مكارثي مباحا . وانني على يقين بأن مكارثي ما كان يعتقد بأن الحكومة تمالئ الشيوعيين ، ولو كان يعتقد ذلك لاهتم به . ولما ترك التحقيقات لجرد انها فشلت في تحقيق ما أراده وما توقعه . لقد كان مكارثي مغامرا سياسيا تقب في أعماق الشيوعية فوصل لاعماقها وأماط اللثام عنها .

ولابد أن يكون مكارثي قد رأى في المرأة مرابا وخداعا ولا يمكن القول ، مع التاكيد ، بأنه لم يدفع ثمنا لفساد الروح . فقد احترق الكذب

بمهارة . ولكن مشكلة الحقيقة والكذب كانت تقضى مضجعه كما كانت تشغله مشكلة الكياسة لانه كان شريرا . ولم يكن هنالك من هو أسرع من مكارثي في استخدام صفة الكذب وتوجيهها للآخرين . فقد وصف بها الناشر هنري لوس بالإضافة الى وصفه بالحقارة ، وكان يستطيع الكذب بسهولة نادرة بل كان يمارسه دون مشقة .

واذا نحينا الخوف جانبا فان خيال مكارثي كان مليئا باختلاق اخلاق يتصف بها هو ، فقد قال ذات مرة ان القذارة والعار والانحطاط تتجلى في خصومه سنة ١٩٥٢ . وكان مكارثي يتلاعب بكلامه وخاصة في أحاديثه التليفونية . كما كان يطالب الآخرين بأشياء كثيرة وكانت لهجته تنسم بالكياسة والظرف .^١

الفصل الثالث

الأيام الأولى

دأب مكارثي في خطبه ومقالاته وشهادته على التحدث عن نفسه وعن معنى حياته • كان يجد في نفسه موضوعا مثيرا للاهتمام وقد بدأ كتابه عن المكارثية (الكفاح من أجل أمريكا) بما اسماه بخواطره عن حضور أول جلسة للجنة تيدنجز • وكان ذلك بعد شهر من خطبته في هوننج يقول : عندما دق الجرس في مكتبي ظننت أنه لم يمض أكثر من عشر دقائق منذ أن تحدثت ، على حين كنت جالسا على الأريكة طيلة ليل حافل بالعمل ، إذ كنت قد حضرت لادلى بشهادتي أمام اللجنة وكنت أبحث في حافظتي لاثبت من وجود الوثائق والمستندات فيها لان الوثائق كفيفة بأن تفر الاوضاع وتشير الراى العام كله وان تحتل صدر الصحف والمجلات .

هكذا كانت حياة مكارثي •• كان كل ما يهم مكارثي هو الصفحات الأولى من الجرائد والمجلات وكان ينظر الى الحرب الكورية على أنها مؤامرة للاستيلاء على تلك الصفحات •• وفي كل كتاباته وبياناته لم يشر مرة الى طفولته ومطلع شبابه • وكل ما أذكره بهذا الشأن كلمة المكارثية اذ قال : (لقد عرفت المحيط الباسفيكى وشاطئ آسيا تماما كما عرفت مزرعة ابي عندما كنت صبيا ألهو والعب) والقاعدة في هذا الامر هي ان السياسي الامريكى الذى يريد أن يحيط نفسه بهالة ضخمة كان عليه أن يذكر الكثير عن طفولته وحياته • وأى مؤرخ حديث قد يستخلص من هذا أن طفولته كانت سيئة للغاية تثير في نفسه الذكريات الاليمة • ولذا كان يتجنب الخوض فيها • وهكذا فاننا لا نكاد نعرف شيئا عن حياة مكارثي قبل الحرب العالمية الثانية •

وعندما اختطف مكارثي الموت في ٢/٥/١٩٥٧ قيل انه مات عن ٤٧ عاما ذلك أنه ولد في ١٤/١١/١٩٠٨ •

كان مكارثي الابن الخامس لايون يقومون بزراعة ١٤٢ فدانا في ولاية أوتاوا شرق ويسكونش على الشاطئ الشمالى لبحيرة وينيباجو وكان هذان الابوان قد أنجبا تسعة اولاد • ولقد كانت المزرعة المذكورة في وسط منطقة تعرف محليا بمقر الايرلنديين • وكان أبوه تيموثى مكارثي خليطا من اصل ايرلندى وألماني، على حين كانت أمه بريجيت تيرنى ايرلندية صميعة • وكان ابواه يتبعان الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ويشاع انهما كانا متدينين للغاية وكانا أمينين لايحييدان القراءة ولا الكتابة •

ويذكر البعض أن مكارثي كان خجولا في طفولته وأنه كان لا يحب أن ينطق باسمه في المدرسة . ولعل السبب في ذلك هو أنه كان أقرب اخوته التسعة لقلب أبيه . وفي هذا يقول أريك ف. جولدمان : كان جومكارثي طفلا من تسعة ولدوا لعائلة مكارثي وكان دون اخوته قبيح المنظر ، قصير الذراعين ذا حواجب كثيفة سميكة وشفتين غليظتين . ولعل هذا هو السبب في تغالي أمه في العطف والاشفاق عليه . وكثيرا ما كانت تكرر قولها له : دهمهم وشأنهم فسوف يكون لك شأن فيما بعد .

وهكذا أمضى الصبي صباه في طريق مليء بالطموح والآمال بدلا من الخجل والتردد . قد يكون كلام جولد مان صحيحا ولكن هذا يجعلنا نتساءل لماذا أصبح مكارثي سناتورا دون ملايين الصبية الذين كانوا يلجأون لاحضان أمهاتهم في مثل سنه ؟

ولا توجد لدينا أية أدلة تبين أن مثل هذا الطفل سيصبح ذا شخصية في المستقبل ، ولقد حاول كل من المؤرخين جاك أندرسون ورونالد وماي في كتابهم : مكارثي الرجل السناتور صاحب المبدأ - أن يذكروا (كان مكارثي طفلا مدللا لم يتحمل اعباء العمل في مزرعة أبيه كما تحملها اخوته . ولعل هذا وغيره يؤدي بنا الى ضرورة البحث والتنقيب عن السر الحقيقي في وصول مكارثي لمثل هذا المركز وهذه السطوة والسلطان .

لقد التحق مكارثي بمدرسة (تدريهيل) ، وسارفي دراسته سيرا حسنا الا أنه كان ضعيفا في الخطابة والتعبير . وعندما بلغ الرابعة عشرة أنهى تعليمه الابتدائي وأصبح مزارعا . وفي هذا الوقت تمكن من شراء ٥٠ دجاجة من بعض النقود التي جمعها ولم تمض فترة حتى اقتنى ١٠٠٠٠ دجاجة وبينا لهذا الدجاج وعربة لنقلها الى شيكاغو .

وعندما بلغ التاسعة عشرة أصيب بالتهاب رئوي بسبب قضائه وقتا طويلا في المراعي الرطبة أثناء الجو الطيب والسيىء معا مما اضطره لتأجير بعض الصبية لرعاية الدجاج .

ولكن هؤلاء الصبية أهملوا رعاية الدجاج فانتشر فيه المرض ووجد مكارثي نفسه أمام أحد أمرين :

أما ان يبدأ من جديد أو أن يترك هذا العمل . ولقد فضل أن يتركه هجر مكارثي بعد ذلك مدينة جراندي شوت الى ماناوا وهي مدينة يبلغ عدد سكانها حوالي ٥٠٠٠ نسمة حيث عمل كمدير لمخزن بقالة . وقد نجح مكارثي في عمله الجديد واحبه الناس في تلك البلدة . وقد حاول البعض اقناعه بمواصلة تعليمه حتى يرتقى في عمله ولا يصبح مجرد مدير مخزن للبقالة . وقبل أن يتم عامه العشرين بشهرين التحق بمدرسة ليتل وولف واتم دراسة برنامج أربعة أعوام في عام واحد . وكان لتصميمه وعزمه أكبر الأثر في كبير المدرسين الذي انفق وقتا طويلا في التدريس له . وقد قال عنه عندما احتفل به عند التخرج : لم تخرج مدرستنا تلميذا يستحق التخرج أكثر من مكارثي . ثم التحق بجامعة ماركت (وهي معهد تابع لجامعة الجيزوبت بناحية ميلووكي للدراسة الهندسة ولكنه تركها بعد عامين ليدرس القانون . وكان يعول نفسه طيلة تلك الفترة ، فكان يدفع

بعضايريف دراسته من عمله الذى يقوم به كفسيل الصجون وخيز الفطير في
لحد الفنادق ، أو كملاحظ في إحدى محطات الوقود . وكان تقديره عند
تخرجه مشرفا فكان رئيس. فرقبه كما كان في الوقت نفسه ملاكما بارزا في
فرق الملاكمة .

وبعد تخرجه افتتح لنفسه مكتبا للمحاماة في بلدة (ووباك) وشاركه
في المكتب طبيب أسنان . ولم يقم طيلة الأشهر التسعة التي قضاه في هذه
البلدة الا بأربع قضايا . وحقق مكسبا قدره ٧٧٧ دولار عام ١٩٣٥ . ولقد
استفاد مكارثي في ذلك الوقت من لعب اليوكر ثم عمل بعد
ذلك مع محام يدعى ميشيل ايرلين بمرتب قدره ٥٠ دولارا اسبوعيا وكان
ذلك في بلد (شاوانو) شمالي (أوتاجامي) وكان ايرلين جمهوريا بينما
كان مكارثي ديموقراطيا بالوراثة . وأصبح مكارثي رئيسا لنوادى الشباب
الديموقراطي ورشح نفسه كمدير عام للمضاحية ولكنه لم ينجح في الانتخابات
وتعندئذ عاد للعمل مع ايرلين بعد أن أصبح اسم المكتب (مكتب ايرلين
ومكارثي) وظل يعمل لمدة ثلاث سنوات في هذا المكتب .

ولم يتطرق أحد من المؤرخين الى هذه الفترة التي تبدأ بمكارثي -
ركاى محام ناشئ في إحدى المناطق يهتم اهتماما كافيا بالسياسة الى حد
تولييه رئاسة احدا لاندية ، من أجل الشهرة والمصلحة الحزب ، وخوض معركة
للفوز بمنصب يعلم سلفا انه لن يفوز به . وفي سنة ١٩٣٩ خاض مكارثي
حملة انتخابية للحزب الجمهوري متمسكا بنفس المبادئ التي نادى بها
فيما بعد .

وقد يظن البعض أن هذه السنوات كانت واضحة المعالم خاصة اذا
كانت لدى مكارثي أية أحلام عن مستقبل حافل بآثاره الفتن والقلقل
والفوضى ، ولم تكن مواهبه كمحام خارقة للعادة . ومن الخطا افتراض ان
مكارثي كان راضيا عن عمله كمحام في الريف . وكما تعلم فإن القانون
يقرب المرء من السياسة . ولكن مكارثي عندما كان في العقد الثاني من حياته
في شوانو لم يكن يعتقد أن مستقبله سيكون مشرقا . وما كان يتوقعه
وبإمله كرئيس لنادى الديموقراطيين الشباب في ولاية ويسكونش هو
أن يصبح مع الوقت عضوا في مجلس النواب في يوم من الايام . واما
بالنسبة لمجلس الشيوخ أو رئاسة المدينة فكان هناك ٧١ مقاطعة في ولاية
ويسكونش ويتنافس على كل مقعد عدد من أمثال مكارثي .

وقد برز مكارثي في هذه الفترة كعضو في الحزب الجمهوري ولكن
إرتدادا - اذا كانت هذه هي الكلمة المناسبة فلانعلم عنه شيئا وقال مكارثي .
انه من حسن الطالع أن تكون جمهوريا باسم ديموقراطي . وقد علم أن
ميشيل ايرلين أراد دخول معركة للانتخابات كقاض وهو المنصب الذي فاز
به مكارثي . وقد شعر بشعور من الخيانة عندما أراد ان يعلن ترشيحه
ولكن مكارثي سبقه . ولكن عندما بدأ الاهتمام يزداد حول ماضي مكارثي
في الريف كانت هذه الايام قد أصبحت في طي النسيان لان الماضي لا يعود
ولان الحقيقة اختفت وتلاشت مع الزمن .

كان مكارثي عملاقا في سياسة ويسكونش وشخصية مرموقة بارزة
استطاعت أن تفرض نفسها على البلاد . ولم يكن هنالك سوى قلة من الناس

يتحدثون عنه بحرية • أما مشيل إيرلين فلم يكن يستطيع أن يتحدث عنه لأنه كان مقيدا بمنصب القضاء الذي فاز به مكارثي عام ١٩٣٦ حتى تركه سنة ١٩٤٦ عند انتخابه لمجلس الشيوخ وقد حصل إيرلين على منصب القاضي بتأييد من مكارثي •

ومن المؤكد أن مكارثي لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره عندما رشح نفسه لمنصب القضاء على حين نجد أنه اضاف عدة أعوام لعمر منافسه وتلك طبيعته في تزوير الحقائق • ولكنه بالرغم من ذلك سقط في الانتخابات • ولما أعيدت الانتخابات ثانية تمكن من احراز الفوز وشغل ذلك المنصب ، وكان قد تمكن خلال فترة الاعادة من اقناع الناخبين بأنه أكثر ملائمة لهذا المركز من منافسه العجوز • ولكن البعض ادعوا بعد ذلك بأن مكارثي لم يتمكن من الفوز الا بالنفس والتزوير •

وفي هذه الفترة من حياته وقعت بعض الاحداث التي كشفت عن حقيقة خلقه • فقد طلبت منه وزارة الزراعة بصفته القضائية أن يصدر بيانا يحذر فيه إحدى الشركات من التلاعب بقانون الاسواق ، وفعل أصدر مكارثي الإنذار • ولكنه سرعان ماسحبه بعد ثلاثة أيام لاسباب لم يوردها في تقريره • وعندما مثلت القضية أمامه رفض شكوى الوزارة متعللا بأن القانون الذي تستند اليه الوزارة سيلغى خلال ستة اشهر وعندما وصل تقرير القضية الى المحكمة العليا • أمرت باعادة القضية ثانية وتبين فيما بعد أن مكارثي أمر كاتب المحكمة بحذف بعض الفقرات من البيان الذي أدلى به عند رفضه الشكوى • ولا يعرف مضمون الفقرات المحذوفة • وقد سئل مكارثي عن سبب حذفها فقال (انها لم تكن مادية ملموسة • وقد فزعت المحكمة من هذا العملية وأصدرت عدة وثائق عن مكارثي وقالت المحكمة في إحدى وثائقها : (اننا لا نعرف أية سلطة تبرز للمحكمة وقف سير القانون • يجب أن يستنتج بأن الأساس الذي تصرفت المحكمة عليه ليس سببا كافيا أو قانونيا ، وأن هذا العمل استهتار بالسلطة القضائية • أن على القاضي أو المسئول في القضاء تنفيذ القانون دون احترام للأشخاص مادام القانون ساريا • وإن أى مسئل آخر يعتبر تعديا على اجراءات السلطة القضائية وتدخل في أعمال الهيئات الرسمية ، وينجم عن ذلك إستفادة الخارجين على القانون وإن الامر بحذف هذه السجلات أمر غير لائق على الإطلاق وما كان ينبغي أن يحدث) •

ولعل أفضل ما قام به مكارثي خلال توليه لمنصبه هذا هو انجازه لعدد كبير من القضايا المتأخرة فكثيرا ماظلت الجلسة منعقدة برياسته حتى منتصف الليل •

ومن أطرف القضايا التي نظرها ذات مرة قضية طلب طلاق كانت على الوجه التالي :

مكارثي - هل أنت محامي المدعى ؟

المحامي - نعم •

مكارثي - هل أنت محامي المدعى عليه ؟

المحامي - نعم •

مكارثي - هل هذه الاتفاقيات صحيحة ؟

المحامى - نعم .

مكارثي - هل هنالك ما تريد قوله (قبل أن نستمر في نظر الدعوى) ؟

المحامى - لا .

وأصدر مكارثي حكمه في مدة دقيقتين - حتى أن الشاكية نظرت في دهشة حينما قيل لها إنها تستطيع مناداة قاعة المحكمة وقالت . هل طلقت ؟ وكان رد القاضي مكارثي عليها . نعم . وكان لهذه القضية دوى كبير في جميع الاوساط وخاصة ان احكام الطلاق كانت قليلة ومحدودة في ولاية ويسكونش هذه ، وكانت ولاية ويسكونش مشهورة بحسن السمعة وقد وضعت نظاما لمحاولة اصلاح الاحوال الاجتماعيه وكان بكل محكمة مستشار خاص بشئون الطلاق ، يقوم بالتوسط بين الزواج عندماتعرض على المحكمة قضية من قضايا الطلاق .

وقد حصل مكارثي على هذا المنصب لمدير حملته الانتخابية المسدور اربان . ب . فان سوسترن . وكان محاميا ويملك أحد (التاكسيات) وقد تبين للقاضي أنه يستطيع انجاز الكثير اذا استغنى عن سوسترن . ومع الزمن فاز مكارثي بشهرة أنه قاض سريع البت في القضايا التي تعرض عليه ، وقلما يجد عقبات في القوانين اذا كان الامر يتعلق بأصدقائه أو أنصار سياسيين .

وقد اشتركت صحيفة (ميلووكي جورنال) مع المحكمة العليا في حملتها على مكارثي وعلقت الصحيفة على اجراءات الطلاق في دائرة مكارثي بقولها :

(ان القاضي مكارثي يتحرق طموحا للحصول على مكانة سياسية كذلك يتجاهل الامور الخلقية والتقليدية ويسئ كثيرا الى الجهاز القضائي في هذه الولاية) .

وكان مكارثي في الثالثة والثلاثين عندما دخلت الولاية المتحدة الامريكية الحرب العالمية الثانية وقد أعفى مكارثي من الاشتراك فيها لصفته القضائية . ولكنه ارسل خطابا لرئيس السلاح البحري في ١٩٤٢/٦/٢ يطلب منه فيه قبول تطوعه وأصبح برتبة ليفتنانت في القوات البحرية الامريكية في ١٩٤٢/٦/٤ وارسل لقاعدة كوانتيكا بولاية فرجينيا ولم يترك مكارثي القضاء ، وانما عهد لمساعديه القيام به لحين عودته من الحرب واعتقد كبير القضاة أن هذا الطلب غريب وشاذ وغير معقول وذكر القاضي أرنولد في مورجى : اننى على يقين من أن القضاة الآخرين يبذلون ما بوسعهم وأنا أمد لهم يد المساعدة ، وإن غيابكم عن القضاء سيعوق سير الاجراءات والاعمال القانونية في محاكم الولاية لحد كبير . ولكن هذا لم يثن مكارثي عن عزمه .

وقد ذهب مكارثي للمحكمة وهو يرتدى زيه البحري ذات مرة وقد أثار هذا فضول المصورين لان ذلك الامر لم يسبق له مثيل . ذلك أن القاضي

يجب عليه ارتداء زيه الرسمي • ثم عاد مكارثي بعد ذلك الى قاعدة كوانتيكو البحرية واستمر في عمله بالبحرية حتى ديسمبر سنة ١٩٤٤ وقد عمل طوال عمله بالبحرية كضابط للمخابرات في منطقة جنوبي الباسفيكي مع سرب القتال ٢٣٥ •

وقد قام بعمله هذا خير قيام كما اشتهر بالشجاعة وروح المغامرة والفداء وقد جرح عدة مرات أثناء الحرب ولكنه لم يصب بأذى او مكروه وكان عمله خلال خدمته بالجلوس الى احد المكاتب ومقابلة الطيارين لدى عودتهم من مهامهم ، وان كان قد ادعى أنه كان بالمدفعية وعرف باسم جو • وهذا مجرد ادعاء لا أساس له من الصحة •

وعندما رشح نفسه كعضو في مجلس الشيوخ سنة ١٩٤٤ أعلن انه قد انتدب في أربع عشرة مهمة رسمية حربية أثناء الحرب زادها الى ١٧ مهمة في انتخابات ١٩٤٨ ثم الى ٣٠ مهمة عام ١٩٥١ وقد منح وسام صليب الطيران الممتاز الذي يعطى لمن قام بـ ٢٥ مهمة رسمية وقد فضحت جريدة الايفنج ستار في عددها الصادر في ١٤/١١/١٩٥١ هذه الادعاءات • وكشفت عن كذبها وزيفها • وانه لم ينتدب في أية مهمة رسمية •

وكان مكارثي يتحدث عن الفترة التي قضاها في جزر الباسفيك في خطبه السياسية ويلفرف الديموع الغزيرة ويتحدث عن الفارات الجوية ويصف القتال الذي دار هناك •

وقد طلب مكارثي من أحد القساوسة بالجهة ذات مرة أن يبحث له عن شيء يواسيه فاخبره القسيس بأن يكتب ما يلي : لقد عقدنا العزم انه عندما تنتهي الحرب سيقوم عالم أفضل واجمل مما هو الآن •

وفي سنة ١٩٤٤ كان مكارثي في وضع تراوده فيه آمال كبار ، فقد مضى عليه في البحرية عامان ، وفي القضاء عامان وفي خلال تلك الفترة أخذ يزود صحف ويسكونش بصور عديدة للقاضي المحارب وهو جالس وراء المدفع أو راكب إحدى قاذفات القنابل ، وقد بلت على وجهه علامات وانعكاسات المعركة •

وكان مكارثي قد أصبح على شيء من الغنى والثروة فكان دخله مئذسنة ١٩٣٥ الى حين تطوعه في الخدمة العسكرية يبلغ ٢٤٨٧٧ دولارا واستطاع أن يدخل سوق الاسهم والمضاربات بمبلغ ٥٠٠٠٠ دولار وفي عام ١٩٤٣ ربح ٤٢٣٥٣ دولارا • وكان مرتبه كقاض ٨٠٠٠ دولار أى ثلاثة اضعاف ما كان يكسبه من عمله بالمحامة •

وهكذا وصل مكارثي خلال تلك الفترة الى مركز سياسى مرموق وثروة لا بأس بها كما تكلمت عنه الجرائد والمجلات باعتباره أول قاض خدم في القوات المسلحة وفي خلال تلك الفترة نفسها قرر مكارثي الانضمام للحزب الجمهورى وان يرشح نفسه عن ولاية ويسكونش • ولكن وقفت أمامه عقبتان :

أولا - ان القوانين العسكرية تحرم على العسكريين الاشتغال بالسياسة •

ثانيا - انه محرم على القضاة الاشتغال بأى عمل آخر ايا كان نوعه

خلال فترة عملهم بالقضاء كنص المادة السابعة من الفقرة العاشرة من دستور ولاية ويسكونش .

ولكن سرعان ما تغلب مكارثي على تلك الصعاب بأهمالها وعدم الالتفات إليها واستمر في دعايته الانتخابية . ولقي استجابة من الناخبين الذين كانوا يريدون رؤية المثقفين المتحمسين في مناصب رفيعة . وبالرغم من تفوق منافسه الكسندر وايل عليه فإن ترتيبه كان الثاني في الانتخابات ، وعندما رغب مكارثي في الحصول على اجازة لمدة ثلاثة اشهر من القوات البحرية التي قبلت تطوعه من قبل للقيام بالدعاية الانتخابية، رفضت البحرية هذا الطلب لعدم انتهاء الحرب بعد . وعندئذ قدم استقالته وتم قبولها في فبراير سنة ١٩٤٥ .

وقد تم انتخاب مكارثي ثانية كقاض عام ١٩٤٥ وفي عام ١٩٤٦ نجح في انتخابات مجلس الشيوخ وأصبح سناتورا واحتل المقعد الذي كان يتربع عليه روبرت م . لافوليت لمدة عشرين عاما .

ان السخرية التي أصبحت ثقيلة فيما بعد رافقت الهزيمة التي انزلها مكارثي بروبرت لافوليت الابن . فقد كان لافوليت هذا أقل نشاطا وحركة من أبيه . الا انه كان واعيا مدركا كما كان انسانا هادئا لطيفا يتمتع بذكاء خارق . وكان لافوليت على اختلاف كبير مع مكارثي فكان الاول رئيسا للجنة الحريات المدنية كما قام بعمل تحقيق عن الجاسوسية في الصناعة الامر الذي تجاهله مكارثي ، وقد بث مكارثي الفوضى في مجلس الشيوخ .

اما لافوليت فقد نصب نفسه في الاربعينات لرد النظام الى مجلس الشيوخ . وقام لافوليت مع النائب أ . س . مايك مونروى من ولاية أوكلاهوما — وقد أصبح هذا سناتورا فيما بعد — باصلاحات في كيان مجلس الشيوخ واجراءاته كان على الكونجرس اتباعها في عهد مكارثي وقد اتدع لافوليت لجنة للاشراف على أعمال الحكومة وهي التي كان يرأسها مكارثي فيما بعد ، وقد أصبح اسم هذه اللجنة بعد اصلاح ١٩٤٩ لجنة الاشراف على النفقات في الدوائر التنفيذية . وان جمهرة المراسلين وعلماء السياسة الذين اعتبروا مكارثي في الخمسينات بأنه كان أسوأ عضو في مجلس الشيوخ ، هم أولئك الذين كانوا في الاربعينات قد اعتبروا لافوليت بأنه افضل سناتور في المجلس .

ومن الامور التي لا يمكن تصديقها أن يهزم لافوليت من مثل غوغاى في مجتمع قيل انه أرقى المجتمعات السياسية في الديموقراطية الغربية ، وقد حدث هذا بالفعل مع أن هناك ما يؤخذ على مجلس الشيوخ الامريكى وعلى دوره في الحكم . وفي التفكير الامريكى . الامر الذى أدى الى حدوث مأس عدة من هذا النوع .

ان الكونجرس مجال واسع لنوى العقل والخيال فان المرء يدخله من مناطق صغيرة . وما تمضي فترة طويلة حتى يجد نفسه يعالج مشكلات أمة بأسرها وعالم كبير مترام الأطراف . وإذا تأثرت مصالح هؤلاء بغرضهم فانهم لن يختلفوا عن الساسة الاقليميين الذين ينبغي أن يكونوا مستقلين تماما عنهم . وكلما زاد الوقت الذى يخصصه هؤلاء لبحث المشاكل

الوطنية والدولية وايجاد الحلول لها ، لم يجذبوا الفرصة لبحث مشاكل مواطنهم الاصلي والاجتماع بابناء دوائرهم .

وهؤلاء مع الوقت يتجاهلون الجمهور . بل وفي بعض الاحيان يضيقون بهم ذريعا . ومع الزمن فان شخصا كمكارثي لابد وان يعود الى الناخبين ويخبرهم بان السناتور الذي انتخبوه للمجلس تجاهلهم وضرب بمصالحهم عرض الحائط لانه انهك في الاضواء وشغلته العاصمة والعواصم الاخرى ، ويحدث اثر هذا ان يخسر السناتور مقعده لفقدانه الميزة التي اهلته للمثله هذا المقعد فيتبوا بدلا منه آخر .

وهذا ماحدث بالنسبة للافوليت الابن فان ظروفه السياسية كانت تختلف عن اقرانه . ففي عام ١٩٤٦ ، كان يسعى لأول مرة للحصول على ترشيح أحد الأحزاب الكبرى . وكان في الماضي مرشحا للحزب التقدمي في ولاية ويسكونش وهي منظمة كانت تقوم على ارتباطها بأسرة لافوليت وعن طريق الاسرة ترتبط بقوة الثورة البطولية . وقد انعكست الآية عام ١٩٤٦ . فلم يكن من السهل الابقاء على الحزب فان لافوليت لم يدخل مجلس الولاية منذ سنة ١٩٣٨ ، اذ عمل ابان فترة الحرب مرافقا للجنرال دوجلاس ماك آرثر . ولم تكن الثورة أمرا مستجبا آنذاك . وجرى حل الحزب في اوائل سنة ١٩٤٦ وعاد اعضاؤه الى الحزب الجمهوري بتأثير من روبرت تافت ، وقد رأى البعض الانضمام الى الحزب الديمقراطي وبذلك كان لابد ان يسعى لافوليت للحصول على تأييد الحزب الجمهوري له وترشيحه في الولاية .

وفي الواقع لم يكن يسعد الجمهوريين أن يمثلهم عن ولاية ويسكونش شخص عرف بأنه داعية للحريات السياسية وتنظيم العمل والعمل على رفاهية الامة عن طريق مشروع الانعاش ، ولقد أعيد تنظيم الكونجرس ولم يكن لافوليت سياسيا بارعا . ولولا أنه ورث اسم أبيه لتدخل مجالا غير هذا ومع ذلك فانه دخل الكونجرس مرات عديدة بتأييد الجمهوريين .

وعندما كان لافوليت في الكونجرس يعمل من أجل مشروع إعادة تنظيم هذا المجلس فان مكارثي الذي حمل لواء المعارضة للجمهوريين الموالين للافوليت راح يجوب الولاية من أقصاها الى أقصاها سائلا عن سبب بقاء لافوليت في واشنطن تاركا أهله وعيشيرته . ووصف مكارثي قانون لافوليت بأنه وصمة عار . وقال ان واضع القانون لا يسعى الا لزيادة مرتبات أعضاء الكونجرس وكان هذا محض افتراء وأخذ مكارثي يكيل شتى الاتهامات للافوليت ووجه اليه الأسئلة غما فعلة الجنود الامريكيين في الحرب ، وما الفائدة من تعيين لافوليت ، رئيسا للجنة العدل .

واكتشف مكارثي أن لافوليت حصة في إحدى محطات راديو ميلووكي وان نصيبه من الأرباح في عامين كان ٤٧٣٣٩ دولارا . فراح يوجه الأسئلة يميننا وشمالا . كيف حصل لافوليت على هذه الاموال ؟ الا يوجد نظام يطبق على أرباح لافوليت ؟ ان هذا شيء يجب ازالته من واشنطن ليفسح المجال أمام دماء جديدة هناك . دماء محاربة اشتركت في الميدان . وجاء في أحد منشورات مكارثي الانتخابية . كان جنس مكارثي من فرقة المدفعية في الحرب العالمية الثانية . وعندما اندلعت نار الحرب . كان جو يعمل قاضيا

وقد أعفى من الخدمة العسكرية ولكنه استقال من عمله للتطوع كقنصل للبحرية وقد حارب برا وجوا في أنحاء الباسفيك . وقد قام جو مع الملايين الأمريكيين لمنع اليابانيين من دخول أمريكا . واليوم عاد مكارثي لارض الوطن وهو يريد أن يخدم أمريكا كمضو في مجلس الشيوخ . نعم أيها المواطنون ان الكونجرس بحاجة الى رجال حرب و قتال . وفي الوقت الذي تعم فيه واشنطن الفوضى، ويسعى المستبدون الى فرض أنفسهم على المواطنين الى الأبد ، فان أمريكا في حاجة الى محاربين .

ان الذين حاربوا في البلاد الأجنبية لانقاذ أمريكا حصلوا على حق خدمة أمريكا في زمن السلم . وفي الانتخابات الاولى في الحزب الجمهوري فاز مكارثي بأغلبية خمسة آلاف وأربعمائه صوت من مجموع الاصوات وقدره ٤١٠ ألف صوت . وقد فاز لافوليت في المناطق الريفية وكان من المتوقع ان ينال أغلبية من الجمهوريين في ميلووكي وفي المراكز الصناعية حيث كانت له مكانة قوية .

ولكنه خسر أصوات العمال . وقيل انه خسر لأن الشيوعيين أرادوا ازاحته من الطريق . وكان الشيوعيون يكرهون لافوليت لانه حر كآبيه وكان يرى أن الشيوعية هي استبداد وديكتاتورية وكان لافوليت على علم بتفضل نفوذ جوزيف ستالين في الحركة العمالية وخاصة في ميلووكي حيث كان الشيوعيون يسيطرون على عمال السيارات الأمريكيين وعلى جهاز مؤتمر المنظمات الصناعية .

وأعلنت صحيفة الديلي ووركر . ان الشعب لن يذرف دمعاً واحدة على لافوليت ، وقال مكارثي عندما اتهم بتأييد الشيوعيين له : ان للشيوعيين كالآخرين الحق في التصويت لمن يريدون . اليس كذلك ؟ ولكن الحقيقة التي يجب ألا نغفلها ان مكارثي مدين بفوزه لتأييد الشيوعيين وليس ثمة دليل على ذلك .

وقد فاز مكارثي في الانتخابات العامة بعد ذلك بسهولة وكان خصمه هيوارد ماكموري أديب من جامعة ويسكونش قد قضى فترة قصيرة في مجلس النواب . وكان رجلاً شريفاً شجاعاً . ذكياً . وقد فاز مكارثي عليه بـ ٦٤٠ر ٤٣٠ صوتاً مقابل ٣٧٨ر ٧٧٢ صوتاً . وفي ٢٤ من فبراير سنة ١٩٥٣ انتصر روبرت لافوليت في واشنطن .

انصرفت ثلاث سنوات على تولي مكارثي مقعده في المجلس دون أن يبدو عليه أنه يطعم في أكثر مما وصل اليه ، ولكن ما ان وطئت قدماه واشنطن لأول مرة بعد نجاحه في الانتخابات حتى استطاع أن يجذب اليه الانظار وأن يحيط نفسه بهالة من الاهتمام .

حدث أن اختارته مجلة (لايف) كموضوع لمقال مصور (ريبورتاج) عن سناتور حديث العهد بهذا المنصب الحساس . ولقد سألته الجريدة في معرض الحديث عن خواطره حال وصوله للعاصمة فأجابها بقوله : بعد أن وصلنا واشنطن بارحت القطار وتلفت للسماء وأنا أنظر يمنة ويسرة وقلت للسماء . . . انها تمطر . وكان أول شيء فعله بعد ذلك هو عقد مؤتمر صحفي تحدث فيه بصراحة وجرأة وقد وجه اليه أحد الصحفيين سؤالاً مخرجاً نصه :

« مستر مكارثي ، ما الذي جعلك تظن ان سناتورا جديدا من الأهمية بمكان بحيث يعقد مؤتمرا صحفيا ؟ فهز مكارثي كتفيه باستخفاف وقال له : انه يريد التحدث في موضوع اضراب عمال ألفجم وقد وجدت حلا لهذا الاضراب هو أن يقوم الجيش بفصل العمال المضربين عن عملهم وهذا حل للمشكلة . وعندئذ سأله صحفي آخر : وماذا عن جون ل . لويس زعيم عمال المناجم . فأجاب مكارثي بقوله : يفضل هو الآخر . وقبل أن يفض الاجتماع قال للصحفيين عندما تريدون مني شيئا ما فلا ترددوا في الاتصال بي ليلا أو نهارا »

تعرف مكارثي من قبل برجل البيبيسي كولا - عندما منحت الشركة كمية من السكر تزيد عن الحد المقرر لها كما تمكن في نفس الوقت من تكوين صداقات وعلاقات قوية مع بعض رجال الصناعة الذين وجدوا الفرصة السانحة بعد انتهاء الحرب لبناء المساكن وخاصة الرخيصة منها ، وكان كل مايعوق هؤلاء الرجال هو انتشار رأى داخل الكونجرس يقول بأن الدولة هي المستولة عن إيجاد حل لازمة المساكن بعد انتهاء الحرب وعندئذ قدم مكارثي اقتراحا للكونجرس هو وبعض زملائه بالاشتراك مع البنائين ، قدم اقتراحا بتكوين لجنة الكونجرس المشتركة للاسكان بالفعل حصل على موافقة لمشروعه بعد أن لعب دورا كبيرا من أجل انجاح هذا المشروع بالرغم من أنه لم يكن رئيسا للجنة . بل انه تمكن من اسكات الاصوات التي دوت بين أرجاء الكونجرس ومنع تسرب تلك الأنباء للصحف .

ولقد قيل ان مكارثي حصل على ١٠٠.٠٠٠ دولار من مؤسسة لسترون وغيرها . وهكذا كانت تسير الأمور فتارة نجد أن مكارثي نصير للفلاحين وتارة نراه يطالب بالتحقيق عن الفساد باسم البحارة ومرة نجده يحمل بشدة على برامج المساعدات الاجنبية ومرات عديدة يحمل على الشيوعية وعلى الذين يعملون لحسابها .

ولقد قام ذات مرة بتقديم مشروع للمجلس يطلب فيه من اتحاذت العمال أن تبلغ مديري المؤسسات والمصانع وغيرها عن العمال والموظفين الشيوعيين تمهيدا لفصلهم الا أن السناتور تأفت عارض هذا المشروع بشدة نظرا لما ينتجه مثل هذا المشروع من اضطراب في أجهزة الدولة فلم يجد مكارثي بدا آنذاك من تأجيل هذا المشروع الى حين .

وربما كانت مطاعم مكارثي بسيطة في أوائل عهده بمجلس الشيوخ فكانت لا تعدو الحصول على اعتراف أو تقدير لمواهبه . وكانت مكانته حسنة وقدرته على الابتداء كاملة . وقد كتبت صحيفة نيويورك عن مكارثي وحملاته على وزارة الخارجية في رساله من واشنطن وصفت إحدى اقتراحاته بالكذبة الكبرى . وقالت ان الكذبة الكبرى لايلزم أن تكون أكلوبة وأحدة بل يمكن أن تكون سلسلة من الاكاذيب أو أكلوبة ذات وجوه متعددة . وعلى كل فالجميع يتألف من عدة أجزاء بحيث أن كل من يحاول تسجيلها سيكتشف انه من المستحيل عليه حفظ جميع عناصر الأكلوبة في وقت واحد . وعندما يحاول المرء ذلك فقد يستخلص بضع بيانات ويظهر مدى زيفها ، وإذا ما فعل المرء ذلك فان معنى هذا أن هذه البيانات

أو الفقرات هي الكاذبة وإما الباقي فصحيح . وميزة هذه النظرية أن البيانات الكاذبة يمكن ترديدها دون أى خوف لعدم وجود من يستطيع التمييز بين ما هو صحيح ، وما هو كاذب .

وقد كان هذا الأسلوب أحد الاعيب مكارثي منذ ان كان يقوم بحملات انتخابية في ويسكونش وقد استخدمه في أول عهده بالكونجرس اذ حدث أثناء مناقشة عن توزيع السكر سنة ١٩٤٧ ان عدد مكارثي حقائق كما ذكر ارقاما كاذبة لا أساس لها .

وفي مايو سنة ١٩٤٩ كنت أزور واشنطن لاصف الجلسات التأسيسية لحلف شمالي الاطلنطي وحدث ان سمعت شهادة عن سوء معاملة رجال المخابرات الألمان للمواطنين الأمريكيين حتى لقد اتهم الألمان بذبح ١٥٠ جنديا أمريكيا ومائة مدني بلجيكي منذ خمس سنوات .

وكننت في غرفة مجاورة عندما سمعت مكارثي يشترك في نزاع مع ريموند بلدوين السناتور الجمهوري الذي استقال بعد ذلك وكان النزاع يتسم بالغضب . وقال مكارثي أن الأمريكيين ارتكبوا أعمالا وحشية . وذكر أن لديه برهانا على أن بلدوين - لسبب ما - يريد حماية المتهمين . ونفى بلدوين ذلك . لكن مكارثي نهض قائما ووضع بعض الأوراق في حقيبته وغادر المكان قائلا : انه لن يشترك في مهزلة مشينة . وهي محاولة ماهرة متعمدة لتبرئة الجيش الأمريكي وقال عنها فيما بعد : أن بلدوين مسئول عن ذلك ولما كنت أجهل فحوى هذا النزاع تعقبت مكارثي وسألته أن يخبرني عن سبب ثورته فقال : ان هذه الوثائق ستجلو الحقيقة . وقال عندما نذهب لكتبي سأطلعك على بعض الأوراق ، وعندما تراها ستوافقني على أن هذه الأمور المشينة تجري في بلادنا . فقلت : يمكنني بعد قراءة تلك الوثائق أن أحكم على هذه المسألة . ومع أن مكارثي كان يميل إلى معسول الكلام فان طريقته كانت مهذبة في أغلب الأحيان . وعندما وصلنا إلى مكتبه أفرغ محتويات حقيبته ووضع الأوراق أمامه وأعطاني بعضها منها قائلا أظن أن الحقائق ستبين لك ما خفي عنك بالنسبة لهذا الموضوع وقرأت الأوراق التي أعطاها لي بسرعة ثم قرأتها ثانية بمزيد من الدقة وعندما انتهيت من قراءتها قلت : اني اعتقد أن السناتور أعطاني تلك الوثائق خطأ . فقد كانت الوثائق مجرد رسائل من ضابط أو موظف بالحكومة إلى آخر .

قال مكارثي هذا صحيح ولكن لا تسيء الظن بي فانا لم أقصد أنك ستجد القصة بحدافها هنا . ان هذه الوثيقة وحدها لا تفيد شيئا ولكنها حلقة من سلسلة الحقائق وعندما تطلع على بعض المستندات الأخرى ستدرك المعنى الذي قصدته وكان كلامه كلام الواثق بما يقول . فشعرت بشيء من الخجل لانني توقعت الاحاطة بموضوع معقد في لحظات وقرأت وثيقة أخرى قدمها مكارثي قائلا : ستجد صورة عن الموقف . وكانت الوثيقة عبارة عن قائمة أسماء ولم تكن القائمة ذات معنى بالنسبة لي . وحاولت أن أربط بينها وبين الوثيقة السابقة ولكن لم يبرز أمامي شيء . واطعرت مكارثي بذلك . فقال تماما هذا ما أرمى إليه ، ان هذه الأسماء لا تعني شيئا بالنسبة اليك وكذلك بالنسبة لي عندما بدأت في البحث عن هذه المؤامرة . ولكنك ستدرك مدى أهميتها . أقرأها ثانية إذن . وحاولت أن أتذكر الأسماء

عبثا واعتقدت أن مكارثي لم يعطني الوثيقة الهامة التي تفسر أهمية هذه الأسماء وراح مكارثي ينسق الأوراق هنا وهناك قائلا : اننى أحاول أن أضع الصورة أمامك كاملة • وقد وجهت اللوم الى نفسى لعدم استطاعتي الالام بتفصيل القضية •

ثم قدم مكارثي لى وثيقة مخشوة بالأوراق وقال لا أريدك أن تنهبط قبل أن ترى هذه ، ففيها حقائق منقولة عن سجلات الجيش ، هذه الحقائق التي تحاول الحكومة وبلدوين التستر عليها • وقرأت الوثيقة مرات وقلت لأجد ثغرة فى قضية الجيش • فقال ان الأمر كله أكاذيب وهم يحاولون تحويل الأكاذيب الى حقائق • وبدأت أضيق ذرعا بمكارثي الا اننى كتمت شعورى قائلا : لقد فهمت الموقف الآن • لقد كان مكارثي مقتنعا بأن مذبحة الملبدى عمل من خلق خيال رجال وزارة الحربية المسئولين وأن الألمان قد عذبوا للاعتراف بارتكاب أعمال لم تحدث قط • وان التستر على الجناة الأمريكيين بواسطة سناتور جمهورى شهير بأمانته وشرفه أمر لا يجوز •

على أية حال فقد قال لى مكارثي : لقد بدأت تدرك الموقف سأريك الآن بعض الأدلة التي ضمنها عن الموضوع وأعطاني بعض الأدلة والمعلومات وهى أقوال بعض رجال البوليس السرى الألمانى المعتقلين كمجرمى حرب يزعمون فيها بأن معاملة الأمريكيين كانت سيئة للغاية • ونظرا لنشر هذه الأقوال فى صحف ألمانيا فقد تقرر أن تقوم لجنة الخدمات المسلحة فى مجلس الشيوخ برياسة بلدوين بهذا التحقيق •

ومع أن مكارثي أعلن أنه سيساقط من اللجنة مع أنه فى الحقيقة لم يكن يستطيع ذلك لأنه لم يكن أصلا عضوا فيها • إلا أنه استغل ميزته كعضو فى المجلس وجلس مع اللجنة أبان التحقيق وأدلى أثناء المحاكمة بخطابات عدة •

ومن الأمور المعروفة ان النازى المحكوم عليه بالإعدام أو بالسجن يستطيع ذكر الحقيقة فيما يتعلق بسلوكه الماضى كما يستطيع تزوير هذه الحقيقة • وعجبت لان ما كان لدى مكارثي من أدلة كان يثبت بها أن الأمريكيين هم الذين يكذبون وليس الألمان •

وقال مكارثي (ها قد عرفت الحقيقة) ان هذا هو ما ارادت الحكومة ممثلة فى بلدين تشويهه وهذا ماحدا إلى الانسحاب من اللجنة ، انهم يخفون الأدلة ويزيفون الحقائق • وعندما أعرض الأمر على الشعب فستبرز الحقيقة وسيقول الشعب كلمته •

وفى النهاية ، شكرت مكارثي على لطفه وعلى حديثه معى وأناأسف على الوقت الذى أضعته مع هذا الرجل دون فائدة فقد علمت أن السناتور خدعنى وأمنت بعد هذه المقابلة ان هذا السناتور انما هو أكلوبة كبرى وانه طبل أجوف •

الفصل الرابع

عصر مكارثي الذهبى

بدأ مكارثي في ممارسة سلاح التهديد بالشيوعية عام ١٩٥٠ دون أى أمل فى أن يمكنه ذلك من أن يكون رأسا للاجتماعات والمؤتمرات . لقد كان أمله هو أن هذا الطريق قد يعاونه على البقاء فى مركزه . ولكن هذا لم يمنع من انه كان متخوفا بعض الشيء عام ١٩٥٢ بالرغم مما كان يعتمد عليه من سطوة ونفوذ لدى الكثيرين من اصدقائه ذوى الشخصيات البارزة فى المجتمع .

وجد مكارثي نفسه فى وضع لا يحسد عليه ، وخاصة بعد أن افترض أمره لحصوله على رشوة من شركة البيبسي كولا كما ذكرنا من قبل ، ولقبوله الرشوة من شركة لسترون . وقد شنت الصحف حملتها عليه ووصفته بأنه مشهور ، لا ينظر الى الأمور بعين البحث والتروى . وهكذا بدأت فضائح مكارثي فى الانتشار فى ولاية ويسكونش وبدأت صحيفتا «ميلووكي جورنال» ، و«ماريسون كابيتال تايمز» تنشران القصص عن حوادث الطلاق فى المحكمة انتى كان يرأسها مكارثي سابقا ، فضلا عما ذكرته بأن اقراراته لمصلحة الضرائب منذ عام ١٩٤٣ لم تدل على انه حقق أى ربح . ولما لفتت السلطات المختصة أنظاره الى هذا الموضوع ادعى انه لم يكن مستوطنا حينئذ فى ويسكونش وانما كان يعمل بالمندفعية فى جنوبى الباسفيك ابان هذا العام .

لكن المصلحة رأت ان هذا الدفاع لا أساس له وارغمته على دفع غرامة قدرها ٢٠٦٧٧ دولارا . وفى عام ١٩٤٩ رأت لجنة الطعون بالكونجرس انه خالف دستور الدولة لانه دخل الحملة الانتخابية لمجلس الشيوخ وهو يشغل منصب قاضى وفى أثناء دراسة التقارير الخاصة بحملته الانتخابية لسنة ١٩٤٦ تبين أن مصاريف تلك الحملة قد بلغت ١٨٠٠٠ دولار ذكر انه ورثها عن أبيه وأخيه وزوج شقيقته على حين لم يقدم هؤلاء فى اقراراتهم الضرائبية ما يدل على وجود فائض لديهم .

وحدث ذات مرة أن مكارثي كان يتناول غداءه مع ثلاثة من رفاقه فى مطعم كواونى فى واشنطن وهم الأب آدموند ولشن وشارلس هـ . كروس استاذ العلوم السياسية فى جورج تاون ووليام أ . روبرتس وهو من رجال الاعمال العدودين ومحام مشهور فى واشنطن وكان لكل من الرفاق الاربعة عقيدته السياسية برغم انهم كانوا جميعا يتبعون لمذهب دينى واحد « الكاثوليكية الرومانية » . كان روبرتس ديمقراطيا على حين

كان الآخرين لا ينتميان لحزب من الاحزاب - وكان كروس يحاول ان يقنع مكارثي بقراءة بعض كتب الاب ديب والشن التي تعالج موضوع الشيوعية العالمية .

وبالرغم من ان تلك المقابلة كثفت هي الاولى بين كل من مكارثي والاب ولسن « مكارثي » ذكر بأنه سوف يطلب من المجلس الموافقة على أن يمنح معاشا شهريا قدره مائة دولار إن تزيد سنه عن الخامسة والستين عاما . ثم تكلم من بعده الاب ولشن واقترح ضرورة القضاء على الشيوعية بقوة عالية . ورحب مكارثي بالفكرة قائلا : « انها فكرة جميلة خاصة وان الحكومة مائلة بالشيوعيين وعملاتهم ولا بد من انتهاز الفرصة للقضاء عليهم قضاء مبرما » وقد حذر الجميع مكارثي مما سيتربط على فكرته هذه ، ولكنه لم يدعن لأي تهديد ، وذلك لانه كما نعلم عنه ما كان لينظر للامور الا من وجهة نظره الخاصة فقط . وكان كمهدنا به دائما مندفعنا نحو اية فكرة تروق له دون أية روية او تفكير . وقد وجه تحذير الى مكارثي بعدم الاندفاع عند بحث مثل هذه المواضيع حتى لقد نبذه رفاقه الثلاثة بعد ذلك .

ولعل احدي المميزات الكبرى التي يتمتع بها شخص معتاد على استخدام الاكذوبة الكبرى هو ادعاؤه بأنه قام بالكثير من البحث والتمحيص على حين لم يقم بالفعل بشيء من هذا اطلاقا . وان سيدات ويسكنسن اللائي سمعن مكارثي في التاسع من فبراير في هوبلنج يرددن ان معه قائمة بأسماء ٢٠٥ او ٨١ او ٥٧ شيوعيا يعملون في وزارة الخارجية يعتقدن أن مثل هذا الشخص لا بد أنه قام بدراسات مستفيضة عن هذا الموضوع ، ولكن العكس هو الصحيح .

وتتابعت الاحداث ، فقد طلب مكارثي ذات مرة من لجنة الحملة الانتخابية في الحزب الجمهوري في مجلس الشيوخ ان تخوله الكلام عن الشيوعيين الذين يعملون في هيئات حكومية وتزويده بشيء من الكتب لهذا الغرض وراح مكارثي يوجب مراكز الانتخابات في الولايات .

ومما يذكر انه استعان بأحد محرري جريدة « هيرالد تريبيون » في شيكاغو في ان خطاب الذي القاه ذات مرة خلال رحلته هذه قائلا :

« ليس لدى الوقت الكافي لأسرد على مسامعكم أسماء جميع الرجال الذين يعملون في اجهزة الدولة وينتمون في الوقت نفسه للحزب الشيوعي ، والى حلقة الجاسوسية المنتشرة ، وان بين يدي الآن أسماء ما يزيد على مائتين وخمسين شخصا وجميعهم معروفون لدى وزير الخارجية » ولكنهم ما زالوا قابعين في مناصبهم يقومون بأعمالهم ويسرون دفة الامور في وزارة الخارجية » .

وانواقع انه كان لهذا الخطاب الذي القاه دوى هائل في جميع الاوساط ، وكثما اتى مكارثي قبلة اهتزت لها جميع ارجاء الدولة ، بالرغم من انه تجنب الحقيقة والواقع في معظم ما أشار اليه . ذلك انه لم يكن لديه احصائية حقيقية ، وبفرض انه كانت لديه هذه الاحصائية ، الا يتبادر للذهان اسمئلة كثيرة عن امدته بها ؟ هل امدته بها ادارة

المخابرات ؟ أم هل اطاعه عليها وزير الخارجية نفسه ؟ ولماذا !!! ؟ أم هل هي من محض خياله ؟ ثم لماذا اختار مكارثي إحدى الجمعيات النسائية ليلقي فيها خطابه هذا ويلقي بقنيلته هذه ؟

وسرعان ما تناقلت الصحف والانباء ما جاء بخطاب مكارثي وكان من تلك الصحف جريدة « نيويورك تايمز » التي أفردت لهذه الخطبة صفحات كاملة .

ويذكر أحد زملاء مكارثي في أول عهده بمطاردة الشيوعيين ويدعى فردريك وولتمان : « أن مكارثي كان يتكلم في هذه الخطبة جزافا وكيفما عن له القول ، فلم تكن معه مذكرات أو أية بيانات وأن الأوراق التي كان يقاب فيها أثناء خطابه هذا ، لم تكن سوى قصاصات جرائد أو مجرد خطابات خاصة لا تمت للموضوع بأية صلة .. بل أنه بعد مرور بعض الوقت على خطابه هذا ، كان يقدر ذهنه هو ومساعدوه ليتذكروا بعض ما قاله فيها ، وكانوا كان كل ما قاله عفو الخاطر » .

تلك كانت طريقة مكارثي والتي ظل عليها حتى نهاية عهده ، ولما واجهته الصحف بأن وزير الخارجية ينبغي علمه بهذه الأسماء ذكر أنه لم يشر إلى أن هنالك ما يزيد على المائتين من الشيوعيين وإنما ذكر أن هنالك أخطارا يمثل هذا العدد تهديد البلاد .

وذهب بعد ذلك مكارثي إلى مدينة سولت ليك Salt lake وخطب خطبة ثانية جاء فيها :

في الليلة السابقة تحدثت عن الشيوعيين في وزارة الخارجية وذكرت أن بين يدي أسماء ٥٧ عضوا في الحزب الشيوعي يحملون معهم بطاقات العضوية وأحب أن أبلغ دين اتشيسون أنه إذا ما اتصل بي الليلة في فندق أوتا ، فسوف أطلعه على أسمائهم بكل سرور .

تصدى له رجل من المستمعين اسمه فالنتين فدار بينهما الحديث على الوجه الآتي :

فالنتين : معنى هذا يا سانتور أنك إذا دعيت فستكون قادرا على ذكر تلك الأسماء لدين اتشيسون .

مكارثي : لن أكون قادرا ، بل سأعطيها له فعلا .

فالنتين : سيدي ... هل تقصد بذلك القول أن هنالك سبعة وخمسين من الشيوعيين يعملون في وزارة الخارجية ويوجهون سياستها ويتحكمون فيها أو يساعدون في توجيهها على الأقل ؟

مكارثي : حسنا يا فالنتين .. لا أريد القول بأن عدد الشيوعيين بوزارة الخارجية هو ٥٧ فقط ، بل أنني أقول أن معي أسماء ٥٧ شيوعيا منهم .

ولكن دين اتشيسون لم يتصل به ولم يذهب لمقابلته بل أرسلت إليه وزارة الخارجية وقت ذلك برقية تطلب إليه فيها توضيح الموقف وصرح لنكولن هوايت ، أحد المسؤولين ، بقوله ردا على ذلك :

« اننا لا نعرف شيئا عن وجود شيوعيين بالوزارة ، واذا عثرنا على أحد قسنظرده من منصبه »

ولكن تلك الاكثوية برعان مانمت وتضخمت وأعلن مكارثي أنه على استعداد لأن يطلع رئيس الجمهورية على تلك الاسماء وأرسل في الوقت نفسه برقية تحوى هذا المضمون لرئيس الجمهورية ونصها :

على الرغم من اننى لا املك السجلات اللازمة فاننى اعرف تمام المعرفة ان هناك مجموعة تبلغ نحو الثلاثمائة شخص يعرف وزير الخارجية ميولهم الشيوعية ، وقد قام حتى الآن بإبعاد حوالي الثمانين منهم .

ولم يهتم الرئيس ببرقيته ولا بخطابه . وعندئذ ذهب الى رينو ، والقى خطابا قال فيه :

« اننى ارى ان وزارة مهمة مثل وزارة الخارجية ملطخة بالشيوعية وبين يدي الآن أسماء ما يزيد على الخمسين شخصا ممن يدينون بالولاء للشيوعية ويعملون لحسابها في تصريف الشؤون الخارجية للبلاد ووزارة كهذه لابد أن تظهر من تلك العناصر » .

وعندما عاد من رينو وجد نفسه ملزما بتوضيح تصريحاته أمام مجلس الشيوخ ولقد استمرت أيضا حاشيت ساعات كاملة ، وكان ذلك يوم ٢٠ فبراير وتضاربت أقواله في صحة الاعداد التى ذكرها .

ولقد كان نتيجة لهذا الخطأ ان انعقد المجلس ثلاث مرات متتالية ، وفي الساعة المحددة للاجتماع الأول دخل مكارثي القاعة محتضنا حقيبة الضخمة والتي أصبحت فيما بعد ملازمة له أينما ذهب وحيثما حل حتى أصبح يعرف بها كما أصبحت تعرف به .

وأعلن في اللجنة أنه استطاع ان يخترق سبتار السرية الحديدي الذى يفرضه ترومان ، وأنه سوف يعرض واحدا وثمانين قضية شيوعية دون أن يحدد الاسماء وكان هذا الرقم جديدا ولما استفسر أحد الاعضاء عن حقيقة الرقم الذى يقصده هل هو ٢٠٥ أو ٥٧ أو ٨١ ، وهو الرقم الجديد ، اجاب أنه تمكن من معرفة ٢٤ قضية اخرى ، ولكنه أشار على المجلس ان يعلم ان تلك القضايا جميعها لا تنحصر في وزارة الخارجية فقط ، وأخذ يتخلص من كثير من تلك القضايا مدعيا مرة أن أصحابها تركوا الوزارة الآن ، وتارة اخرى يقول انهم يعملون في منظمة الأمم المتحدة ، وذكر أن اصحاب القضايا رقمى ٢١ ، ٢٦ يعملون الآن في راديو صوت امريكا ، أما القضية رقم ٢٤ فتشبه القضية رقم ٣ . وأن القضية رقم ٩ تماثل القضية رقم ٧٧ . وأن القضايا رقم ١٣ ، ٧٨ عبارة عن طالبى وظائف بوزارة الخارجية عام ١٩٤٨ وأن القضية رقم ١٥٢ كان صاحبها مرموسا لصاحب القضية رقم ١٦ والذي تذكر ملفات الوزارة عنه أنه كان أخطر عميل مع الجاسوسية داخل الوزارة . وكان صاحب القضية رقم ١٢ موظفا بوزارة التجارة ولكنه هـ أى مكارثي ، لا يعرف مكانه الآن وان

القضية رقم ٦٢ ليست بذات أهمية من وجهة نظره للنشاط الشيوعي وذكر عن القضية رقم ٤٠ - أنني لا أعرف معلومات كثيرة عن هذه القضية اللهم الا البيان الذي اذاعته الوكالة « دون أن يذكر اسم تلك الوكالة » وأشار مكارثي الى حالة تستحق النظر في رأيه :

« ان هذه القضية تختلف تماما عن القضايا السابقة ذلك أنني أعلم بأن صاحبها رجل لا يدين للشيوعيين بالولاء وانما هو مناهض لها وإن صاحبها لم يعمل بوزارة الخارجية » هذا عن القضية ٧٢ . واستمرت الجلسة من الظهيرة حتى منتصف الليل دارت خلالها مناقشات لم تكن لتستحق البحث والاجتماع .

ولقد بلغ عدد المقاطعات التي أحدثها « سكوت لوكاس » في أثناء الجلسة واحدا وستين مرة كان يحاول فيها إثبات أن يطلب من مكارثي التزام صحة الأرقام . كما قاطعه كذلك برابان ماك ماهون أربعاً وثلاثين مرة طالبا منه التزام العقل والحكمة وأن يتكلم بالطريقة المتبعة في المجلس ، كما حاول أعضاء آخرون تلك المحاولات نفسها ولكن دون جدوى غير أن مكارثي لم يهتم بهذا كله وظل مندفعاً في تياره الفوضوي التأثير مبيناً أن طريقته وأسلوبه في العمل سيظهران فيما بعد .

وعندما أحس بمدى التأثير المتزايد لما يحدثه من ذكر الأرقام قال بمنتهى الاستهتار والثبات « لنترك الآن لعبة الأرقام السخيفة هذه وعلى السناتور لوكاس أن يعلم أنني لن أجيبه عن أسئلته السخيفة ولن أميرها أي التفات فهذا الموضوع هام وخطير » .

* * *

وانتهت الجلسة بهذه الصورة المخزية في منتصف الليل بناء على رغبة ابداءها زعيم الأغلبية .

في هذه الليلة الليلة التي انعقد المجلس خلالها لم يجد مكارثي من ناصره من أعضاء المجلس سوى اثنين ذكرا أن برنامج الأمن الذي وضعه ترومان غير مناسب وأنه ولا شك يوجد عدد من الشيوعيين داخل الحكومة .

وأصبح الجميع يتجنبون مناقشته أو معارضته ، حتى لقد قال عنه ريتشارد نكسون أنه بلاء وكارثة . كما ذكر أحد الصحفيين ، ويدعى يوجين ليونز ، أن حظ الشيوعيين يرتفع ويتحسن بظهور هرقسل جديد لها هو السناتور مكارثي ، ولقد كان كل من مارتن وايز « من تكساس » وجون رانكن « من المسيسيبي » وبارنل توماس « من نيوجرسي » من منظفي الانهطلات سابقاً ومنم اشتبهوا بالعتة والجنون والجهل وعدم تقدير المسئولية ، فجاء للوجود من يفوقهم في العتة ... رجل عبارة عن مثل للجهل والقيء ... رجل جاء ليستمد من المحاولات الجدية الحقيقية القضاء على الشيوعية .

وأننى أخشى أن تنقاد الجماهير لمثل هذا المضلل ، ولكن الصحافة لن تفعل أبداً تلك الحقائق - وهى أن مثل تلك الاسطبلات تحتاج الى التنظيف .

ولكن ما انقضت عدة أسابيع على هذا اليوم حتى بدأ تانست وليونز ينظران الى المسألة بنظرة مفارقة وقد قال تانست عن مكارثي

« انه كالكذذب الخالص » وقال ليونز « انه رجل عمل وقائد بارع وأن كذبه لا يفشل كما انه لا يهتم بنفسه ولا يضيره ان يجعله كذبه املا لتنظيف الاسطبلات ما دام يستطيع ان يجذب اسماع الناس وابصارهم » .

ولم يمض بالفعل وقت طويل حتى كان مكارثي قد نجح في جلب الانظار اليه ، ولقد تمتع مكارثي بقدرة فائقة في مضايقة وارهاق اعصاب معارضيه . هذا بالإضافة الى أن الصحافة لم تذكر بالتفصيل ما حدث في تلك الجلسة ، ذلك لأن اجاباته كانت مفككة مشوشة ممزقة لا رابط بينها مما لم يتعود قراءه جمهور القراء ، وكل ما ذكرته الصحف أن مكارثي اجاب بوجود ٨٠ شيوعيا داخل وزارة الخارجية . ومما لا شك فيه أن الجمهور عرف أن مكارثي قد قوطع ونوقش أثناء الجلسة ولكنه يعرف التفاصيل وأنه لابد أن يكون لتلك الأرقام التي ذكرها نصيب من الصحة حتى ولو كان قليلا . وأن رجلا مثل مكارثي اذا ما اراد معرفة حقائق الأمور سوف يعاني الكثير من الصعاب ، ولذا وجب على الاعضاء عدم الضغط عليه وعدم ارهاقه بالاستئلة التي يوجهونها اليه . وذكر البعض أنه يفرض أن معظم ما ذكره مكارثي غير صحيح ، فان هنالك بلا شك ظلالات من الحقيقة تكفي لأن توضح أن الموضوع ليس سهلا يسيرا وإنما يحتاج للتدبير والبحث وهكذا تمكن مكارثي من توجيه الانظار اليه .

بذلك بدأ مكارثي يستحوذ على اسماع الشعب وقد كسب ذلك بعد الكذبة الكبرى . وكان يبدو للذين في مجلس الشيوخ عشية ٢٠ فبراير أن الشيء الوحيد الذي يجب حمله على محمل الجدل فيما يتعلق بمكارثي هو قدرته على ازعاج ومضايقة نقاده . ولم يظهر مكارثي نفسه بأنه كاذب فحسب وإنما أظهر أيضا حقاره ونفاقه .

وأما ما كان يثير اهتمام الناس العاديين فهو أن عضوا في مجلس الشيوخ الأمريكى ألقى خطابا مثيرا يتسم بالسخط ، ضمنه تفاصيل عدة عن ٨١ شخصا من الشيوعيين في وزارة الخارجية . ومن الواضح بالنسبة للفرد العادى أن تأكيدات مكارثي قبولت بنقد شديد وأنه فشل في اقناع عدد من نظرائه . وقد عدل مكارثي أرقامه في المساء منذ أن تحدث عن هذا الموضوع اول مرة . ولم تستطع إحدى الصحف أن تذكر الحقيقة - لأنها ليست متيقنة من صحة ذلك ، وقد فشل مكارثي في أن يذكر اسم شيوعى واحد في وزارة الخارجية . وكان من الممكن أن يدرك المرء أن سجل مكارثي السابق لا يوحى بالثقة . كما أنه من المستحيل أن يدخل الشيوعيون وزارة الخارجية . وقد أدین الجين هيس منذ شهر من الزمن . وقد اسفرت محاكمة هيس عن ظهور شيوعى آخر يدعى جوليآن ، وأدلى بأنه متآمر ينقل أسرار الخارجية .

وفي هذه الظروف ، كانت هناك ثلاثة آراء بالنسبة للمواطن الذى

درس خطابات مكارثي الاولى والذي لا يعلم شيئا عن مضمون هذه الخطابات وما تتعلق به .

فبالنسبة للرأى الاول من الممكن عدم الاهتمام بمكارثي باعتبار ان اقواله كاذبة . فاذا كان يعرف اسماء الشيوعيين فلماذا لا يذكرهم صراحة . وبالنسبة للرأى الثانى . هو ابقاء الدليل سرا . ولم يثبت مكارثي ان هنالك شيوعيين في وزارة الخارجية . كما ان احدا لم يثبت وجوده ، فالمسألة اذن لا تتطلب ابداء حكم . والرأى الثالث انه كان من المنطقي اظهار الشك فيما يقول .

وهو يستحق ذلك لان الارقام التى ذكرها لم تكن محددة وكانت اعطوف معارضة للسناطور الامريكى بحيث اظهرت خطاه . وأنصار هذا الرأى لا يمكن تحويلهم عن رأيهم لان مكارثي قد غير ارقامه عدة مرات .

وهكذا ترى ان الاكذوبة الكبرى اوجدت جمهورا كبيرا من المستمعين لمكارثي لم يكونوا يستمعوا اليه لو أنه كان كاذبا بسيطا او أكثر اعتدالا وتواضعا . وكان دائما يجد اذنا صاغية بين الجماهير عندما يتحدث عن وجود عدد من الشيوعيين في الجهاز الحكومى .

وكان من المستحيل على الصحف ان تكذب اقواله علنا ، كما انه كان يستحيل عليها ان تذكر للجمهور ان هذه الرواية صحيحة وتلك كاذبة لانها لم تكن على علم بالقصة الحقيقية .

* * *

وفي رأى ان مكارثي لم يكن اطلاقا من انصار ميكيا فيللى كما لم تكن لديه فكرة الاستراتيجىة كما لم يكن معروفا بمكره ، الامر الذى يفيد فى غده كما يفيد فى يومه . لقد كان يخترع ويؤلف من وحي الساعة ولكنه تمكن من ان يكون محور السياسة الأمريكية طوال ستة اسابيع كاملة من الضجيج والصراخ . وبمرور الايام تزايد عدد جمهوره وحصل على التأييد الحزبى ، والتف حوله جمهور من السباخطين والحقادين ، واتخذوا منه زعيما لهم . ولم يكتف بهذا بل وصلت اليه مبالغ كبيرة من النقود سواء من واشنطن أو نيويورك وغيرها كشيكاغو ولوس انجلوس وفيلادلفيا وكولومبيا وغيرها . وبعد بضعة اسابيع وصله من مادليون واىوا ألف دولار ومن ديترويت ٣٠٠٠ دولار اى جانب ٧٠٠٠ دولار أخرى من واشنطن أما المبالغ الكبيرة فكانت تاتى اليه من الشخصيات الكبيرة التى يهملها محاربة الشيوعية ، ونذكر منهم الفريد كوهلبرج ، مستورد قماش الدانتيل ، والمستر جارفن تانكرسلى ناشر مجلة التيمز هيرالد بواشنطن والكولونيل روبرت س . ماك كورميك ناشر مجلة تريبون شيكاغو . والى جانب هؤلاء جميعا كان هناك بعض السياسيين الذين وقفوا الى جانبه ونذكر منهم السناطور تافت وكثير غيره ممن كان يهمهم ان يثيروا أى موضوع من شأنه احراج الديمقراطيين .

ولقد كان اغنياء ولاية تكساس من أكثر مؤيديه نفوذا وسطوة لقد كانوا مغرمين بمكارثي وبكل ما يقوله وكل ما يفعله ، وكانت مصالح

مكارثي وأغراضه ذات طبيعة شاذة بالنسبة لرعيم سياسي له مقدرة خارقة ، وفي هذه الاثناء تبلور الموقف عن مكارثي بشخصيته التي اوضحناها ومن حوله مريدوه ومؤيدوه الذين قدموا انفسهم اليه وأفرغوا جيوبهم تحت قدميه . وكان مكارثي يسدى اليهم الشكر ويقول لهم : « انه يحتاج منهم لمعونة اكبر واشمل » . ومع ذلك لم يفكر مكارثي أبدا في تنظيم مؤيديه وأنصاره سياسيا .

حقيقة قد ظهر في بعض الاماكن ما يسمى بنوادي مكارثي ولكن مما لا شك فيه ان مكارثي كان بعيدا كل البعد عن تكوينها وتنظيمها . أما عن الاموال انني وصلت اليه نقدا فقد أنفق منها اقل القليل في النضال ضد النفوذ الشيوعي وهو نضال لا يحتاج لاموال باهظة . وفي اول الامر كانت الدعاية مجانية ولم تكن في حاجة لهيئة تقوم بها ، كما لم تكن البحوث التي قيل انه يقوم بها تحتاج لمعونة أحد . ولقد انتشرت في هذا الوقت شائعات تذكر ان هناك وكلاء لمكارثي يمدونه بالمعلومات في مناطق كثيرة من العالم ، وسرعان ما تأكدت تلك الشائعات عندما تمكن البوليس السويسري من القبض على شخص يدعى شوارلز دافيز - وقدم للمحاكمة وفيها اعترف بالتجسس على الوزير الامريكي جون كاتر فنسنت . وقد صرح المسؤولون في الحكومة السويسرية بأن هناك شواهد تدل على ان هذا الجاسوس يعمل لحساب السناتور مكارثي ، وقد ادين في المحكمة وحكم عليه بالسجن لمدة أشهر .

وفي ٢٢ فبراير اتخذ مجلس الشيوخ قرارا اجماعيا بأن تقوم لجنة العلاقات الخارجية او اية جهة اخرى مسئولة بدراسة شاملة مفصلة وتحريات دقيقة لمعرفة ما اذا كان هناك بوزارة الخارجية اشخاص خونة ولم تقم اللجنة الفرعية للابحاث بهذه المهمة ، واكتفى السناتور تيونجر ببحث الاتهامات التي كان يأتي بها مكارثي .

وكان مكارثي قد ترك واشنطن ايضا وذهب الى اربزونا ، وفي ٧ نوفمبر عاد مرة أخرى لواشنطن لأداء اليمين على أنه الشاهد الاول أمام لجنة تيونجر فوصل في الوقت المحدد حاملا تحت ابطه حقيبته المشهورة التي تحمل مستندات الخيانة التي تهـز الأمة ، وسوف تكتب بالخطوط العربية الى جانب صفحات الحرب في كوريا . وفتح مكارثي حقيبته وبعثر بعض محتوياتها وبدأ بقراءة القضية الاولى من القضايا الاحدى والثمانين التي قال ان امتهانها يحملون بطاقة العضوية للحزب الشيوعي ويعملون بوزارة الخارجية .

كانت صاحبة هذه القضية قاضية امريكية اسمها دورثي كينيون وهي سيدة مشهورة بنشاطها الاجتماعي ، ولكنها لم تعمل بوزارة الخارجية أو اية هيئة حكومية غير أنها كانت عضو شرف بلجنة الامم المتحدة تبحث عن مركز المرأة الاجتماعي . وقد قضى مكارثي يوما ونصف يوم يتكلم عن التنظيمات التي نسبت اليها ، ونشاطها السياسي المريب . واستمرت الاجتماعات من أوائل شهر مارس حتى أوائل شهر يوليو ، حتى لقد بلغت الصفحات التي كتبت كمحاضر ١٥٠٠ صفحة مطبوعة وارفق بها أكثر من ألف وثيقة . وقد صرح مكارثي

لصحفيين والمعلقين السياسيين أنه بنوى الاستمرار في هذه الاجتماعات في الخريف حتى تظل عالقة في ذهن الناخبين يوم الانتخابات .

قضى مكارثي أربعة أيام يتكلم فيها عن عشرة أشخاص وعلى الرغم من أنه قال أنه سيتكلم عن الأحدى والثمانين قضية فإنه لم يتعرض إلا الى خمس وثلاثين حانة فقط . وقد حدد مكارثي بعض الأسماء ولكنه لم يقدم أية أدلة أو شواهد تثبت صدق اتهاماته ومزاعمه . وقد قال له تيونجر رئيس اللجنة ذات مرة :

« انك تضع اللجنة في مركز حرج فمن أين حصلت على هذه المعلومات وتلك التقارير ؟ » .

وأجاب مكارثي بقوله :

« انني لا اكيل الاتهامات لاحد . انني فقط أقدم لهذه اللجنة معلومات عن أشخاص يظهرون لكل عاقل وكل من يهमे الأمر بأنهم خطر على أمن الدولة . والحقيقة انني لست في مركز يسمح لي بأن أوجه الاتهامات لاحد ، فإذا ما أردت أن أقدم الدليل على اتهاماتي فمن أين يكون هذا الدليل ؟ » لقد ذهب تيونجر بنفسه الى الرئيس ترومان ورجاه أن يوافق على أن يطلع اللجنة على ملفات وزارة الخارجية وعندما وافق ترومان ووصلت الأسففات لم قال مكارثي أن التقارير السرية للموظفين وتقارير المخابرات قد رفعت منها .

كلف تيونجر شخصا يسمى ادجار هوفر بمراجعة هذه التقارير للتأكد من أن أقوال مكارثي صحيحة وعاد ادجار بعد فترة الى تيونجر وهو يقول :

« ان ملفات وزارة الخارجية غير دقيقة » . ومضى مكارثي الى آخر هذا الشوط البعيد فأعلن في ١٠ مارس أنه سيقدم قضية شخص يشغل منصبا هاما بالوزارة وأنه يحتاج فقط لعطلة نهاية الأسبوع لجمع وتنظيم المعلومات الخاصة به وأنه سيكون مستعدا صبيحة يوم الاثنين ١٣ مارس .

وفي صباح ذلك اليوم دخل مكارثي اشاعة حاملا حقيبتة في يده وأعلن أنه مستعد لأعطي في شهادته ولكن القضية الخطيرة التي قال أنه سيعدها تحولت لمناقشة عن موضوع الاسكان . وتدخل أحد الحاضرين فقال ان موضوع الاسكان قد تأجل بحثه فرد عليه مكارثي بكل هدوء ان هذه اخبار لا بأس بها انه مشغول بموضوع هام اذ ان هناك بعض الاشخاص من ولاية ويسكنسن ينتظرونه في مكتبه .

ولكن اللجنة لم تدعه ينصرف من جلسته وطالبت شهادته فقال بكل ثبات انه يرغب كثيرا في اعطاء شهادته وأن معه أربع قضايا يود عرضها ، واحدة منها في الاسطول ، واثنين في وزارة الخارجية والرابعة هي حالة مستر أوين لاتي مور أحد أساتذة جامعة جونز هوبكينز » .

وكانت قضية لاتي مور أشهر قضايا مكارثي وقد قال عنه مكارثي

« أنه أكبر عميل روسي في البلاد بأسرها » وأُخِلت مكارثي الحماسة فأخذ يردد صائها : اذا وجدت اللجنة ما يثبت عدم صحة كلامي في هذه القضية فان لها الحق في أن تعتبر كل أقوالى السابقة محض هراء .
ومن المؤكد أنه عندما تكلم عن أكبر عميل روسي في الولايات المتحدة لم يكن قد حدد له اسما بالذات ، وأما اسم لاتي مور فكان أحد الاسماء التى وقع عليها بصره من الاسماء الكثيرة فى القائمة التى كان يحملها .

ولا شك بعد ذلك انه ادرك الخطأ الذى تردى فيه بذكر اسم لاتي مور ، فلم يكن لاتي مور هذا موطفا بالحارجية ولا جاسوسيا ولا شيوعيا .

كل ما اخذه عليه انه فى ثلاثينات وأوائل اربعينات هذا القرن اعلن وجهة نظر معينة عن قارة آسيا تتفق ووجهة نظر الشيوعيين .

كان لاتي مور رجلا اكاديميا وسياسيا وصحفيا وقد تخلى مكارثي عن اتهامه بالتجسس ثم وصفه بأنه المنظم السياسى لسياسة امريكا فى الشرق الاقصى . نقد كانت له حقيقة بعض الكتب عن الصين اثرت الى حد كبير على عدد من موظفى وزارة الخارجية ، ولكن مكارثي لم يكن يعرف شيئا عن هذا عندما ذكر كلامه . لقد كان يحتاج الى جاسوس يضعه فى جدول أعمال لجنة تيونجز . فوقع اختياره على اوين لاتي مور . لقد كان هذا الموضوع الذى عرضه مكارثي قدرا وان كان قد سمح ببعض الترفيق للجنة .

قال مكارثي : يحتمل أننى اهتمت كثيرا بما اذا كان لاتي مور جاسوسا أو غير جاسوس ، ولكنه كان مشرفا على تنظيم السياسة . وقال : « يمكنكم أن تسألوا أيا من طلبة المدارس عن تنظيم سياستنا فى الشرق الاقصى فسيقول اوين لاتي مور » وقد ارتاحت الصحف لهذا القول .

وتطرق مكارثي بعد ذلك فى موضوع عجيب فقد قال « انه اكتشف أن الشذوذ الجنسى له أهميته فيما يتعلق بأمن الدولة وقد تكونت فعلا لجنة اطلق عليها اسم « لجنة منظمة كولومبيا » . كان هدفها بحث موضوع الشذوذ الجنسى فى الحكومة . وقسده نشرت هذه اللجنة كتيباً اشارت فيه الى مشروع سوفيتي لوضع السيدات العاملات بوزارة الخارجية تحت قبضة الشيوعيين بتشجيعهن على الانحسارات الجنسية . وشكل بوليس المنطقة فرقا خاصة لمكافحة الرذيلة والتحقيق فى صلة الشذوذ الجنسى بالشيوعية !! » .

كان موقف ضحايا مكارثي دقيقا ومحرجا ، فقد كان عليهم أن يثبتوا أن أقوال مكارثي كاذبة وأن يقدموا الدلائل على براءتهم وكان باستطاعة مكارثي ان يثبت ان جميع ادلتهم غير كافية وان الشيوعيين لن يتورعوا عن اصطياد من كان منهم رئيسا لناد أو لرابطة اجتماعية أو لى تنظيم آخر مهما كان نوعه .

وفى منتصف شهر يوليو أصدرت لجنة تيونجز بيانا بنتيجة

اجتماعاتها وصفه مكارثي - قبل أن يطلع عليه - بأنه انتصار جديد للشيوعيين وخزى لمجلس الشيوخ .

وقد قال تيونجز في هذا البيان : « ان مكارثي قد فرض على المجلس موضوعا كاذبا من محض اختلاقه » . لقد بدأ مكارثي من لا شيء ومضى يحاول بدون جدوى اختلاق بعض المعلومات التي اتسمت بالتضليل والتلفيق . ورفض التوقيع على هذا البيان اثنان من اعضاء المجلس هما لودج من ولاية ماساشوستيس ويورك هيكنتوبر من ولاية ايوا . وقد علل ذلك بأن التحريات التي قامت بها اللجنة لم تكن كافية لإعلان أن صفحة وزارة الخارجية بيضاء تماما كما جاء في هذا البيان . وخطب وزير الخارجية في جمعية محرري الصحف الأمريكية وقال : انه ليس ثمة ما يدعو الى الحملة على وزارة الخارجية فهي جهاز ممتاز يتضمن شخصيات مثل جورج ماجي من تكساس . أحد رجال النفط السابقين ، وويلارد ثورب من شركة دون ولبراوسترث سابقا وهكذا .

وكان فردريك فاندربيلت نيلد من ضحايا مكارثي الذين لم ينكروا ميولهم وعطفهم على الشيوعية .

ولقد استطاعت الحزب الكورية جذب أنظار الناس وانتباههم وانصرفهم عن مكارثي واقواله واتهاماته ، وعند حلول الخريف كان نجم مكارثي قد بدأ يعود مرة أخرى ، فلقد استمر قوى الشكينة الى أن انتهى أمره في سنة ١٩٥٤ . ولم تكد تمضي مدة قصيرة حتى بدأ يطالب باستقالة دين اتشيسون أو بادانة هاري ترومان . وقد أثار حملة عنيفة ضد تعيين أنا روزنبرج من النساء اللاتي لهن نشاط كبير في عالم الاعمال بنيويورك كوكيلة لوزارة الدفاع على أساس انها كانت ذات ميول شيوعية ويحتمل أن تكون هذه الميول لا زالت لديها . وكان هذا الادعاء كاذبا لا أساس له . وقال البعض ان سيدة شيوعية كانت بهذا الاسم في الويست كوست منذ عشرين عاما . وكان مكارثي يرسل للصحف مادة عن هذه القصة يوميا . وفي اجتماع الحزب في نادي سولجراف في واشنطن اشتبك مكارثي بالأيدي مع أحد الصحفيين الذي أثار أسئلة عن خلاف مكارثي مع منظمات الضرائب في ويسكنسن ، ونحو الاشتباك الى خصام ثم الى قضية تشهير وانتشرت انباء هذه القصة ..

ولقد كان مكارثي في مضمار النشر فريدا لا يجاريه احد من الساسة . وربما كان مطبوعا على ذلك .

وكان يعرف المواد القابلة للنشر كما كان يعرف الصحفيين وكيف ومتى يعملون وما الذي يحتاجون اليه عند النشر وخاصة العناوين البارزة وغير ذلك . وكان يعرف تماما كيف يضعف من شأن بعض الروايات .

وفي أحد أيام سنة ١٩٥١ كان مجلس الشيوخ يناقشه في تحديه للجنة الفرعية الخاصة بالحقوق والانتخابات وكان سير المناقشة مضادا

لمكارثي . ولكنه اتهم الاعضاء المحترمين بسرقة أموال المواطنين وأنفاقها في القيام بعمل التحقيقات من حوله .

واستطاع مكارثي أن ينتصر بقرار يدعو إلى استمرار التحقيق وتوسيع نطاق اللجنة بحيث يشمل التحقيق السناتور بنتون صاحب مشروع القرار الذي تقدم به لطرد مكارثي والذي كان سبب إثارة الإزمة كلها .

ولكن مكارثي لم يكن ليدع قصب السبق يقلت من بين يديه فأعلن في إحدى خطبه أن الجنرال مارشال له دور في المؤامرة الشيوعية .

وإزداد مكارثي تطرفا فأعلن أنه يعتقد أن نانان بيوزي الذي عين أخيرا مديرا لجامعة هارفارد كان ولا يزال عضوا في الحزب الشيوعي وقد ابتدع مكارثي في ذلك الوقت بدعة جديدة وهي عقد اجتماع صحفي في الصباح يعلن فيه من اجتماع صحفي آخر في المساء .

وفي هذه الفترة كان الصحفيون يستجيبون له كما كانت تستجيب كلاب بافلوف لرنين الاجراس . وكان مكارثي يكتفي بأن يقول لهم أنه مستعد لأن يخبرهم بشيء هام في المساء من اليوم نفسه ، حتى تعلن الجرائد المسائية عن الاخبار الخطيرة التي ستظهر في اليوم التالي .

وكانت هذه الاجتماعات كفيلا بأن تكسب له مجدا عريضا فتنشر صحف المساء مثلا . « كشف جديد يعلنه مكارثي اليوم » ولما يحن المساء فإذا وجد مكارثي عنده شيئا أدلى به وإذا لم يجده شيئا فإنه يصرح بأنه لم يكن مستعدا وأنه وجد صعوبة في الحصول على بعض الوثائق التي تثبت أقواله .

وهكذا تنشر الجرائد في الصباح « تأخير قضية مكارثي الجديدة - البحث عن الشهادات السرية » كان كل الذي يعني مكارثي هو أن تنشر الصحف اسمه مهما كان مضمون الخبر الذي يقترن باسمه ، فقد كان هذا كافيا في نظره لأن يحفر اسمه في عقول المواطنين الأمريكيين .

وقد حدث ذات مرة أن قابل صحفيين في أثناء مفادته مجلس الشيوخ فاقترب منهما على الفور قائلا : « هلا تبحثان عن قصة جديدة ؟ » وكان الرد الطبيعي هو « نعم ، فهل عندك شيء جديد ؟ » فقال « نعم » ومضى ثلاثتهم معا ومكارثي يجهد ذهنه ويفكر تفكيرا عميقا ، وأخيرا صاح فيهما قائلا : « سأبلغكما شيئا هاما » « يمكن أن تنشرا أنني سوف استدعي هاري ترومان للشهادة » نعم سأستدعيه » فصاحت احدهما قائلة :

« هل أنت جاد يا سناتور جو ؟ » فرد بقوله : « نعم - وسأكتب طلب استدعائه الآن - سأستدعيه للدلاء بالشهادة في موضوع هاري ديكستراويت » .

ولم يحدث أن استدعي مكارثي هاري ترومان للشهادة ، ولكن القصة نشرت وتداولها الناس وكان الشيء الذي يدعو للعجب حقا

أن الصحافة كانت نعيه أذنا صاغية . ونشر أكاذيبه ، وكان معظمهم يعلم تمام العلم مدى كذبه وغشه وتحايله . ولعل سبب ذلك ما قاله المعلق السياسي ولتر ليبمان « ان اتهام مكارتى غيره بالحياة والجاسوسية والفساد أخبار لا يمكن تجاهلها ، فهذه الأخبار يعلنها سياسى وسناتور أمريكى ذو مركز محترم فى الحزب الجمهورى ، ومثل هذا الرجل الذى يتهم وزارة الخارجية ووزارة الدفاع لا يمكننا التفاضى عنه أو عن أقواله فنتركها بدون نشر » .

ومما ساعد على انتشار اتهامات مكارتى جرائه وقدرته الخارقة على الكذب .

ومن الاسرار التى كان يعرفها مكارتى - دون أن يدرك ذلك - هو ان الصحف الامريكية . تعكس الفكر الامريكى ، وان الفكر الامريكى - كما قال دوايت ماكدونالد - قد تأثر بعبادة الدولار .

ان الحقيقة قد انتصرت ، فالوقائع الصحيحة بالنسبة لنا حقائق حينما تبين حالات مادية واضحة . وذلك لم يكن الحال بالنسبة لدوروثى لينتون فانها لم تكن تعمل فى وزارة الخارجية ولكن ذلك الامر قد اصبح حقيقة عندما قال مكارتى ذلك .

فالقول - حقيقة - بأنها لا تعمل لحساب الوكالة معناه الادلاء بالحقيقة بطريقة سلبية .

وكان مكارتى على معرفة بهذه الحقائق وكان باستطاعته أن يعرف انه بالامكان التأثير على الفكر الامريكى بوثائق كاذبة أو بحقائق مختلفة .

وكان يبدو لى أن مكارتى قد كون رأيا قائما على معرفة خاطئة ، وهذا كان يعتبر مهزلة كبرى وبذلك كانت تنتصر الحقيقة أما أساس التافيق فيمكن فى نجاح الشخص بتحويل أساليب الادب ضد ما كان يقصده الادباء ، وكان مكارتى يحمل معه وثائق عديدة دائما وأصبحت حقيقته شيئا لازما لا يفارقه ، وكان دائما يقدم احتمالات مواجهة الجمهور بالأوراق التى لديه وقد كان على صواب فى ذلك .

وفى الفترة التى سبقت تيونجز ، حدث أن أظهر مكارتى صورة موظف يدعى جوستاف دوران وهو يلبس رداء أحد أفراد الجيش الجمهورى الاسباني قبل ذلك بنحو ١٥ عاما ، وقد وصفه مكارتى بأنه من موظفى وزارة الخارجية وان الرداء هو رداء البوليس السرى الروسى .

وقال مكارتى فى مجلس الشيوخ ذات مرة عن رسالة كتبها اوين لاتيهور الى زميل سابق هو جوزيف بارنز : « انها وثيقة هامة » وهو يحب إبرازها لجميع أعضاء المجلس . وقد أقنع الاعضاء بقبول هذا العرض باستثناء السناتور ليبمان الذى توجه الى مقعد مكارتى ليرى الوثيقة .

قال مكارتى : « لم يكن لى أن أستسلم » وتصرف مكارتى بسرعة

وأبتدغ بضعة أسطر لخدمة غرضه ونسبها لآوين لأتيمور ، وقد عرّبت ذلك بعد لحظة عندما علم أن الرسالة ما هي إلا جزء من نسخة مطبوعة وليست صحيحة .

وفي ظهر ١٤/٦/١٩٥١ ذهب مكارتى لمجلس الشيوخ ومعه حقيقة مليئة بمستندات تفيد الخدمات العسكرية ولجان العلاقات الخارجية بالمجلس التى قامت ببحوث السياسة الأمريكية فى الشرق الأقصى بعد استدعاء ترومان الجنرال ماك آرثر للشهادة .

ولم تكن هذه المستندات كما زعم مكارتى تتصل بالجنرال ماك آرثر ولا بالسياسة الأمريكية فى الشرق الأقصى ، بل كانت تمسّالج موضوع وزير الدفاع الجنرال جورج كاتلت مارشال . ولهذه الوثائق أهمية كبرى ليس لأنها كانت أجراً وأوضح عمل قام به مكارتى ، بل لأنها جمعت خطبه كلها فى كتاب واحد ، ولعل أهم سبب من أسباب شهرة هذه الخطب هو موضوعها .

فقد كان الجنرال مارشال رجلاً عظيماً ومحبوباً من الأمريكيين وهو الذى وصفه ترومان بأنه النموذج المثالى للقائد الأمريكى . فقد خدم الجنرال مارشال فى الجيش عهداً طويلاً وكان طوال عمره متزناً محترماً يبعث على الثقة — يتعد عن المجادلات السياسية — لم تصبه أى شائبة ولم يتعرض لأى نقد . لكن مكارتى لم يهتم بفكرة الناس من الجنرال مارشال الذى كان يبرر أفعاله بقوله مخاطباً المجلس : « اننى اعتقاد لدى الأمريكيين » وقد قرر اتهام الرجل بالخيانة بل بالقتل ولم يمتصّ قاتل حتى كان ملايين الأمريكيين يرددون أكاذيب مكارتى عن الجنرال مارشال الذى كان يبرر أفعاله بقوله مخاطباً المجلس : « اننى أعرف تماماً أن المساس برجل اعتبره الناس فى جميع الأزمان بطلاً شامخاً غير محبوب وغير لائق ، وأنا نفسى أكره أن أقوم بهذا العمل ولكننى أشعر أن من واجبي .. » وهضى فى حديثه عن استراتيجية الحلفاء فى أوروبا عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ عندما كان الجنرال مارشال قائداً عاماً .

ولاول وهلة بدا أن الخطاب عبارة عن دراسة للاستراتيجية العليا للحلفاء مع التركيز على دور الجنرال مارشال دون أن يهاجمه هجوماً مباشراً . وكان واضحاً أن هذا الخطاب لم يكن من أعداد مكارتى أو أحد من مكتبه ، فبعد أن تلقى مكارتى تهنية السناتور وليم لانجر من شمالي داكوتا على أعظم خطبة قيلت فى قاعة هذا المجلس صرح بقسوة : « اننى أشكر الهيئة التى تعمل معى ، اننى أحبهم فقد عاونا ثمانى ساعات وعشراً بل وعشرين ساعة فى اليوم لأعداد تلك الوثيقة . »

ولم تكن هذه سوى كذبة أخرى أضافها لكاذبيه العديدة السابقة لأن الخطبة كانت من أعداد طالب جامعى أو عدة طلبة يدرسون التاريخ الدبلوماسى والاستراتيجى ويعرفون مصطلحاته وتعبراته . فليس من المعقول أن يكتب مكارتى أو أى من مساعديه كلاماً مثل هذا .

« أن هذا يجعلنى أتذكر قولاً عاقلاً متزناً يتصل بموضوعنا اليلة وهو قول أو كسنستين المستشار السويدى الأول لابنه الذى كان يزعم

القيام برحلة في أوروبا قال : « اذهب يا بني لترى بنفسك السفخافات التي تحكم البشرية ، قد اكون متأكدا من أن ملاحظات ستالين وقعت في اذن الجنرال مارشال كصوت من السماء » .

لم يكن حديث مكارثي كله هجوما على الجنرال مارشال ففي احدى فقراته قال : « انا لا ادعى فهم طبيعة وشخصية مارشال ولهذا فانني اترك هذا الموضوع الى محللي الشخصيات البشرية » وقد أشار مكارثي في هذا الخطاب الى فريد آتلي التي كانت قد قالت : « ان مارشال اثناء بعثته المشهورة الى الصين وقع تحت سيطرة الدبلوماسية الشيوعية شواين لاي » فيقول مكارثي : « انني لا أسير وفق تحليل مسر آتلي عن عقلية الجنرال مارشال ولا أستطيع أن اعتبره من ضحايا شواين لاي »

ولا شك أن خطاب مكارثي كان يعبر عن رأى البعض من المؤرخين الذين كانوا يتفقون في أن السياسة الأمريكية على الأقل في أول ثلاثينات وأول خمسينات هذا القرن قد فشلت لأنها لم تركز عينها أساساً على قوة السوفييت ، لقد كان روزفلت مخطئاً عندما اعترف بالاتحاد السوفيتي سنة ١٩٣٣ وكان مخطئاً عندما ساعد الروس عام ١٩٤١ وعندما حطم ألمانيا واليابان تحطيماً كلياً عام ١٩٤٥ وكان مخطئاً عندما دعا الروس في حرب الباسيفيكي وعندما أصر أن يحارب شيانج كاي شيك اليابانيين أي أنه باختصار كان مخطئاً في كل قراراته الرئيسية .

لقد كان زعميا المؤرخين الذين لهم هذا الرأى هما شارسلس كالين فانسل ، وستينيان يوسوني من جامعة جورج تاون .

ومن المحتمل كثيراً أن يكون خطاب مكارثي هذا قد اهد في داخل هذه الجامعة أو من بعض مؤيدي وجهة النظر هذه خارجها .

لكن المأخذ الوحيد الذي اخذ على الجنرال مارشال كان في انه لم يكن مستعداً للقيادة الاستراتيجية والدبلوماسية العالمية ، فلم يكن مثلاً يستطيع مثل سير ونستون تشرشل أن يرى أبعد من الصراع المباشر ضد الفاشية وكان لا يمكنه التنبؤ أو السعي لصراع ضد الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية وبمعنى آخر انه في الوقت الذي كان فيه قصير النظر لا يستطيع أن يرى أبعد من موطنه قدمه . كان مكارثي يدعى بأنه بعيد النظر .

كانت خطبة مكارثي ضد الجنرال مارشال في معظمها مجموعة من الحقائق التاريخية اختيرت ونظمت بطريقة مقصودة ولكنها مع ذلك استطاعت تحطيم جورج مارشال وبمعنى آخر قد حرمته فرصة إعطاء معنى لبقية حياته كاسم نظيف ورجل شريف .

وهكذا لم تمض بضعة أشهر على خطبة مكارثي حتى استقال مارشال من وزارة الدفاع سنة ١٩٥٠ وخلفه فيها طوال مدة حكم ترومان روبرت لافيت .

وقال مكارثي : « ان الدماء تلتطخ يدي مارشال ، وكان هذا كذباً

وبهتانا ، وقد تلطخت سمعة مارشال فعسلا ، ولم يستطع أى رئيس للبلاد أن يخرج جورج مارشال من عزلته فى ليسبرج مما يدل على قوة مكارتى ، القوة التى كان مبعثها هو وليس كلماته .

كان يقول : « ان المارشال على استعداد لان يبيع خبرته لقاء أى مكسب » وقد ظل مكارتى طوال المدة الباقية من حكم ترومان اداة تدمير ولم تكن له فى هذا الوقت سلطة سوى سلطة سيناتور حديث عن ولاية ويسكنسن ومع ذلك فقد وجد فى نفسه الشجاعة كى يتهم ويلوم ويدمر وينزل من قدر رجال عظماء مثل جنرال مارشال :

وأصبح مكارتى محط أنظار منظمات الحزب الجمهورى كل منها تحاول ان تجذبه ومعه وثائقه لاكتشاف خونة آخرين ، ووصلته تأييدات من أماكن كثيرة ومن افراد يحتلون مناصب رفيعة مثل روبرت تامت الذى قال : « من رأى ان السياسة المؤيدة للشيوعية والتى تتبعها وزارة الخارجية تؤيد الحاجة التى أعلنها مكارتى الى الفحص والمراقبة » .

ولا يعنى هذا انه لم يكن لمكارتى معارضون داخل المجلس نفسه ففي عام ١٩٥٠ أصدرت السناتور مارجرىتش سميث من بلدة مين بياناً ضد مكارتى عرف فيما بعد « باعلان الضمير » وقد وقع البيان معها ادوارد تاي من ولاية ميتسوتا ، وسالين مورس من أوريجون وجورج ايكمن من فيرمونت ودارتسج ايفز من نيسبورك ، وروبرت هندريكسون من نيوجرسي ، وعلى الرغم من أنهم لم يذكروا اسمه صراحة فى هذا البيان فانه كان من الواضح انه دون غيره وجاء فى البيان : -

« لقد استطاعت عناصر معينة فى الحزب الجمهورى اشاعة الاضطراب فى البلاد بطريق الانانية السياسية والاستغلال والخوف والجهل وعدم الاعتدال والتعصب . وقد حان الوقت الذى يجب علينا فيه ألا تقع ضحايا الاساليب الاستبدادية التى ان استمرت فلن تؤدى فى النهاية الا الى انتهاء ما نسميه بالطريقة الامريكية . . »

ومع ذلك استطاع مكارتى الصمود والارتفاع ، فما أن أتى هام ١٩٥٢ حتى كان قد اخذ جزءا معيناً من برنامج الإنفاق الجمهورى الذى كان يرأسه وكانت هذه فرصة مكارتى ليكشف عن الخونة والمتآمرين داخل الحكومة .

كما انه اغتنم هذه الفرصة ايضا وصرح بان : « دوجلاس ماك آرثر - اعظم امريكى ولد فى هذه البلاد ، وانه لشيء يدعو لليأس والاسى ان تذهب الزوجات والامهات الأمريكيات الى الظلام واليأس ؟ بسبب حرب بدأها ترومان لاغراض الدعاية وقال ان عنده وثائق تثبت أن الحكومة لا زالت مليئة بالشيوعيين . »

وبعد ترشيح ايزنهاور كان مكارتى اول من زاره فى مقره بفندق بلاك ستون وعندما سأل أحد الصحفيين عن الاحوال العامة قال : « اننى اعتقد أن دين نكسون سيكون أفضل نائب لرئيس الجمهورية »

ومضى في طريقه ليواصل الدعاية الانتخابية له ولايزنهاور وأتف حوله بعض الجمهوريين وطلبوا منه أن يهاجم ادلاى ستيفنسون فى التليفزيون فقام بهذه المهمة خير قيام بواسطة خطبة بداها بقوله : « ان الجير واعنى ادلاى » واستطرد قائلا :

« ... سأتكلم الليلة عن تاريخ مرشح ديمقراطى مهمته أن يواصل سياسة الكرملين فى بلادنا » وكان ستيفنسون - كسياسى وحزبى - لا يمكن انزال الضرر به كالجنرال مارشال ، ذا صفحة بيضاء مشرقة ، وقد تأثر ستيفنسون دون شك من خطبة مكارثى وكان أسوأ ما فيها أنها كانت مؤيدة من أشخاص لهم نفوذ فى البلاد وفى الحزب الذى كان يسيطر على الحكومة .

وفى نهاية سنة ١٩٥٢ أخذت اللجنة الفرعية للامتيازات والانتخابات فى واشنطن فى بحث رصيد وشيكات مكارثى فى البنك : كانت إبداعات مساعده راي كيرمان قد وصلت الى ١٦٨ ٩٦٢ ٩ دولارا . وقد تساءلت اللجنة عن العشرة آلاف دولار التى تقاضاها من مؤسسة لسترون وعن علاقته التى يعرفها الجميع مع شركة اليبسى كولا وشركة الخطوط الجوية والبحرية . وقد استقرت أعمال هذه اللجنة عاما بأكمله لم يستطع فيه أحد من رؤسائها الثلاثة الذين تعاقبوا عليها أن يستدعى مكارثى لأخذ أقواله فى اتهامات السناتور بنتون والتى كانت سبب انعقاد هذه اللجنة .

وكانت كل علاقات مكارثى بهذه اللجنة تنحصر فى بعض المراسلات وقد كتب ذات مرة الى جاى جيليت من ايوا يقول : « بصراحة لا أنوى قراءة الاتهامات الحقيرة التى وجهها الى بنتون كما اننى لا أنوى مجرد الرد عليها » وهكذا لم تصدر اللجنة أى طلب ليمثل أمامها حتى لا توصف بمجافاة الدوق .

وبعد انتهاء أعمال اللجنة أصدرت اللجنة تقريرا وصفه مكارثى : « بأنه جديد وتنقصه الامانة ويتسم بالحقارة » . وبعد صدور هذا التقرير بأيام قليلة عين صديقه وليام جيز رئيسا لهذه اللجنة وسرعان ما اختفى التقرير . وفى تلك الفترة أعيد انتخاب مكارثى عن ولاية ويسكنسن بسهولة تامة فقام بجولة مع ايزنهاور فى أنحاء الدولة . وكان ايزنهاور قد صرح بأنه كالسناتور يؤيد تصفية الشيوعيين والقضاء عليهم .

وفى ١٩٥٣/١/٩ قدم السناتور جون ماكليان الذى سيؤدى دورا كبيرا فى المرحلة التالية من عهد مكارثى . قدم تقريرا بوصفه رئيسا للجنة مجلس الشيوخ الخاصة بالأعمال الحكومية فى المجلس الثانى والثمانين تقريرا عقيما يصف عمل اللجنة بخصوص اقتراحات إعادة تنظيم مكتب الجمارك ، وإدارة الأطباء البعثرين وسائر الموضوعات التى قامت بها اللجنة . وقد تعرض التقرير لعمل اللجنة الفرعية الدائمة للتحريات التى يرأسها السناتور كلايدر هوى من ولاية كارولينا الشمالية وكان هوى قد قام ببعض التحريات عن عمل بعض أعضاء حكومة ترومان فى أيامها الأخيرة .

فى هذا الوقت كان مكارثى قد عين رئيسا للجنة الاعمال الحكومية فى المجلس الثالث والثمانين ، وبعد الانتخابات أعلن انه سياتخذ على عاتقه مهمة تصفية «الفوضى والفساد» . وقد اعتقد رجال ايزنهاور ورجال الحزب الجمهورى أن هذا يعنى معاودة النظر فى وضع بضعة آلاف موظف عينهم ترومان اثناء حكمه ، وأعلن مكارثى انه يشعر ان مثل هذا الموضوع من سلطة الجهة التنفيذية ، وأنه سينظر فيه على الفور بدون تأخير وما لبثت لجنة النشاط المعادى لأمريكا ولجنة مجلس الشيوخ الخاصة بالأمن الداخلى ، أن بدأت أعمالهما .

وبعد الانتخابات بيوم واحد صرح مكارثى لجريدة سكرىيس هوارد بأنه ينوى تخطيط « دور مختلف تماما لنفسه » لقد تغيرت الصورة تماما - يجب علينا الآن أن نقوم قومة رجل واحد لنكشف عن الشيوعية داخل الحكومة وعندنا الآن رئيس جديد سيقود بنفسه هذه المعركة » .

وبعد مضي شهر تغيرت لهجته فقال « : الى الآن لم نقم الا بخدش وجه الشيوعيين » ووعده بأنه لن يالو جهدا فى هذا العمل .

ولعل أبرز سبب لتعيين مكارثى رئيسا للجنة الاعمال الحكومية محاولة إبعاده عن الفتنة التى اشعلها . وكما يقول تافت : « ان عمله فى هذه اللجنة سيجعله يقضى ايامه يدرس التقارير المقدمة من المكتب العام للحسابات ويترك الصراع الداخلى الى جينر الرئيس الجديد للجنة الأمن الداخلى وهارولد فيلد رئيس لجنة النشاط المعادى لأمريكا » .

قال الجمهوريون : « لقد وضعنا مكارثى فى عمل لا يستطيع أن يؤدى فيه أحدا » .

ولكن تافت الذى مات بعد ستة أشهر ، وايزنهاور كانا حسنى الظن جدا عندما اعتقدا أن مكارثى ، وهو الرجل الذى عرفه الناس فى كل مكان وتحذروا عنه بجميع اللغات ، سيقنع بالعمل الذى وكل اليه ولكن لم يكن من المقول ان يخاف مكارثى من سلطات ايزنهاور وتافت وهو الذى ارتفع للقمة بدون معاونة ايهما . لقد مضي على ظهوره ستة أعوام كاملة استطاع فيها أن يقهر اعداءه وبخاصة محاولة بنتون لطرده من مجلس الشيوخ .

وتلفت مكارثى حوله فوجد فرصة فى اللجنة الفرعية الدائمة للتحريات الملحقه بلجنته (الاعمال الحكومية) . فالتحريات كلمة مرنة ويمكن أن يتحرى عن أى شئ .

وكان أول ما فعله هو تنصيب نفسه رئيسا لهذه اللجنة الفرعية وأغفل ببساطة مسئوليات اللجنة الاصلية ويمكننا القول أنه أغفل مسئوليات اللجنة الفرعية وركز اهتمامه على ماكان سبب شهرته ومبعث ذيوع اسمه .

وقبل انقضاء شهر على حكومة ايزنهاور ، وعلى انعقاد المجلس الجديد ، وتسلم جون فوستر دالاس منصبه كوزير للخارجية ، كان مكارثى قد عاود حديثه عن وزارة الخارجية وما يحدث بين جوانبها

واستعان باثنين من الموظفين المشتغلين في الارشيف • وقد شهد هذان الموظفان أمام اللجنة الفرعية بأن تقارير الوزارة ناقصة بعد ان سحب منها كل ما يشير الى الشيوعية والشذوذ الجنسى واصبح التساؤل في جميع الاوساط عما سيفعله دالاس في الوزارة بعد تسلمه مهام منصبه وخاصة بعد تزوير الملفات • ومما لاشك فيه أن دالاس كان سيحتاج لمعاونة أحد وكان هناك شخص واحد معروف على استعداد لمعاونته •

وهكذا استطاع مكارثي أن ينفذ من الزجاجة المغلقة التي وضعه فيها تافيت وكأنه مارد أو جان تخلص من القمقم الذي كان محبوسا بداخله •

وبات معروفا أن حكومة ايزنهاور ستواجه مكارثي وجها لوجه وعليها ان تصمد أمامه ، وحتى عام ١٩٥٣ كان مكارثي شخصا مستقلا في عمله ، فما قام به بنفسه ولنفسه فقط ، فلم يكن له مساعدون يعتمدون عليهم حقيقة • ولكن الحياة أصبحت أكثر تعقيدا عام ١٩٥٣ فقام بتكوين هيئة للعمل معه نذكر من بين أفرادها روى م • كوهين الذي عينه المستشار الأول للجنة الفرعية ، ج • دافيد شاين ، وقد انفرد هذان المساعدان بمعظم أعمال اللجنة وكانا السبب في ضياع مكارثي في خلال سنة واحدة فيما بعد •

كان كوهين ابن قاض يهودي ديمقراطي ممن كانت له سلطة في ولاية برونكسي ، فتعلم تعليما راقيا في نيويورك في مدرسة فيلدهستون ثم في أكاديمية هوراس مان بجامعة كولومبيا ثم في كلية الحقوق •

وما أن بلغ عامه الواحد والعشرين حتى التحق بتيابة الولايات المتحدة بنيويورك ، ولم يمض قليل حتى كان قد التحق بعمل آخر وهو محاربة الشيوعية •

ولقد كان لهذا الشخص يد كبيرة في ارسال جوليوس واثيل روز نبرج الى الكرسي الكهربائي بتهمة سرقة الاسرار الذرية ، كما كان له ضلع كبير في سجن ثلاثة عشر شيوعيا بتهمة محاولة قلب الحكومة •

أما شاين فقد نشأ في عائلة ثرية اذ كانت عائلته تملك فنادق شاين المعروفة وعددا من المسارح • لذلك كان تعليمه على التوالي في مدرسة فيليبس أندوفر ثم جامعة هارفارد حيث اشتهر بعربته الكاديلاك التي تحتوى على خطين تليفونيين • ومما رشح شاين للعمل مع كوهين هو عمل قام به يسمى « تعريف الشيوعية » وهو دراسة من ست صفحات تحمل شارة فنادق شاين وتباع بها ، وموضوعها « الثورة السوفيتية وتكوين الحزب الشيوعي وبده برنامج السنوات الخمس الأول » •

وقد أخطأ شاين في اسم لينين وخلط بين كل من ستالين وتروتسكى ، وماركس ولينين ، والكسندر كرتسكى كما خلط بين أرض الاحلام أو اليوتوبيا التي ظهرت في القرن الخامس عشر وشيوعية القرن العشرين وكان الحصول على نسخة من هذه الدراسة متوافرا في فنادق شاين الذي عين فيها مديرا عاما لجميع الفروع من ميامي حتى هوليود • وكان كوهين هو الذى ينظر في الامور ويدرسها • وقد أثار اللجنة الفرعية من أجل

القيام بتحقيق في اذاعة صوت امريكا التي كانت معقلا فيما بعد ومن الممكن ان تكون موطن حركة سرية أمريكية .

ومنذ تحقيقات تيونجز كان مكارثي يعتمد على شبكة من الوطنيين العاديين داخل الحكومة يملونه بالمعلومات . ففي خطابه أمام مجلس الشيوخ في ٢٠/٢/١٩٥٠ عندما تعرض للقضية الاحدى والثمانين قال : « لو لم يكن هناك أمريكيون مخلصون في وزارة الخارجية ما كنت قد استطعت ان أقدم هذه الصورة للمجلس الليلة » ووقف مكارثي موقف التحدى كما كان سنة ١٩٥٤ لاختفاء اسماء هؤلاء الاشخاص . وقال : « ان وزارة الخارجية حاولت التستر على هؤلاء الذين كانت أعمالهم لاتسارى شيئا اذا نشرت اسمائهم » .

وبعد أن ازداد نفوذ مكارثي ، حصل على المعلومات ، فقد كان بعض الناس في مكتب التحقيقات الفيدرالى يتصلون به مرارا كما كان هناك آخرون يملونه بمعلومات من مكاتبتهم بوزارة الخارجية وغيرها من الوزارات الأخرى .

ولم تصبح الحكومة (المرتج الديموى) وهو الوصف الذى أطلقه عليها ستيوارت سيمينجتون سنة ١٩٥٣ . وكانت محطة صوت أمريكا هي المكان الذى نظمت فيه الحركة السرية ومارست نشاطها منه . ففي مكاتبتها بنيويورك ، قيل ان هنالك ثلاثين عضوا عاملا ، وكان أول ما قام به كوهين وشاين هو الانتقال لنيويورك حيث أقام شاين فى والسورف تاورز .

وهناك اجتمع الاثنان بأعضاء الحركة السرية وهناك ايضا حققا مع الاشخاص الذين اشارت اليهم الحركة السرية . وعن طريق هذه الحركة حصلت هذه الجماعة على معلومات تافهة بطريقة أشبه بالمخابرات .

وتضمنت المعلومات تفاصيل تافهة عن ميول بعض الاشخاص وما يفضلونه ويبغضونه ثم عن تنقلاتهم . وفى عام ١٩٥٣ استطاع كوهين بتشجيع من شاين ان يهيمن على اللجنة الفرعية ، وكانت لهما هيئة كبيرة تشكلت على النحو التالى : -

كوهين وشاين يرأسان الهيئة ، ويرأسهما مكارثي .

وانتهت التحريات عن صوت أمريكا فى مارس سنة ١٩٥٣ دون أن تفضى الى شيء وكانت معظم التحريات التى قام بها كوهين وشاين بعد مقابلة عدد من الناس ليست الا معلومات غاية فى التافهة والمقارة ، مثل مستر « أ » لا يحب الكتاب الذى يفضلُه أعداء الشيوعية ، ومسح ب . لم تنزوج من مستر ج الذى تعيش وياه فى مسكن واحد ، ومستر د يتبع مذهب حرية التفكير فى المسائل الدينية ، ومستر ه . برغم انه يهاجم ستالين يوميا ويقول كما يقول أعداء الشيوعية فانه كان شيوعيا فى سنة ١٩٢٩ ومن المحتمل ان يكون قد ظل مخلصا لمبادئه القديمة .

وفجأة ذهب كل من كوهين وشاين لباريس يوم ١٩٥٣/٤/٤ للقيام بمغامرة تاريخية وان كانت قد احرجت ادارة المعلومات العالمية وكل السفارات الأمريكية فى غرب أوروبا .

وقد سخر العالم الأوروبي من هذه الرحلة التي قام بها شابان أمريكيان ينتميان لبلده له شأنه ومركزه العالمي بقصد تطهير حكومة بلادهما واستمرت إقامتهما في باريس أربعين ساعة ذهباً بعهدها الى بون ومكثا فيها ١٦ ساعة ثم انتقلا لفرانكفورت لمدة ١٩ ساعة ثم الى ميونخ لمدة ١٦ ساعة ، ثم الى فيينا لمدة ٤١ ساعة ثم الى بلغراد لمدة ٢٣ ساعة ثم الى أثينا لمدة ٢٤ ساعة ثم الى روما لمدة ٢٠ ساعة وأخيرا الى لندن لمدة ست ساعات .

وكان سبب تلك الجولة كما أعلن في ذلك الوقت ، مراجعة الكتب الموجودة بمكتبات السفارات والوكالات الامريكية في تلك البلدان ، وعلى كل حال لم يعرف الناس السبب الحقيقي لتلك الجولة ، فمضى كل يتكهن ويخمن كما يحلو له . أما كوهين وشاين فقد صرحا في بون بأنهم يبحثان عن مدمرين وخونة ، وبعد أن عادا الى بلادهما صرح كوهين بأنه ذهب « ليرعى » بعض الاشياء .

وعندما كانا في روما ظهرت رواية جديدة ، ذلك ان مكارثي كان قد أعلن للصحفيين انهما أرسلتا الى الخارج ليضعا تقريرا عن الاموال التي انفقها ترومان على موظفيه في أوروبا .

ولكن كوهين لم يكن يعرف شيئا عن هذا الموضوع فقد قال : « اننا لم نسمع شيئا عن هذا الامر ولكن اذا قال رئيس لجنتنا شيئا فاننا صادق فيما يقول » .

والحقيقة ان هذه الرحلة لم يكن لها أية أهمية على الإطلاق ، فالنجاح الذي ربما تكون قد حققته كان من الممكن تحقيقه بدون سفر ولا شك ان المكتبات نظمت نفسها على حسب ما أراد المسئولون عنها عندما علموا بزيارة الثنائي المشهور كوهين وشاين ، وما بقي بعد ذلك لم يكن ليثير الاهتمام .

واستعان كوهين وشاين في رحلتهما هذه بسيدة تدعى هيدى ما سنج ، وكانت من قبيل زوجة جاسوس شيوعي في واشنطن ، ليعرفا منها ملاحظاتها عن موظفي الحكومة الامريكية في أوروبا . كما استعانوا بسياسي الماني عاطل يدعى هرمان أوفر - اشتهر عنه انه قد أخذ من إحدى شركات البترول ٢٢٠٠٠٠ مارك ليؤيدها ويصوت معها على زيادة أسعار الغازولين - ليخبرهما أيضا عن الموظفين الامريكيين في المانيا (وقد أعلن أوفر فيما بعد ان عمله الرئيسي كان تحضير مذكرة بالموضوعات التي تكتب ضد مكارثي في الجرائد الالمانية والتي قد تكون مؤيدة له وممولة من بعض الامريكيين) .

وقد كانت تصرفات الشابين أثناء زيارتهما مثار تقولات كثيرة فقد كان يتابعهما كثير من الصحفيين . كأننا يطلبان مثلا في الفنادق التي ينزلان فيها حجرات متصلة ببعضها البعض ولكنهما كانا يصران على أن تكون الملحقات منفصلة ، وكأننا يقولان تفسيرنا لهذا الطلب :

« اننا لا نعمل لحساب وزارة الخارجية » وعندما وصلا الى فيينا قادمين

من ميونخ مساء يوم الجمعة ١٠ أبريل ، كانت هيدى ماسانج في انتظارهما فجاءتا . ومن يقوى الى اللقاء يا هيدى . . اذا حدث شئ فاتصلى بجو « رينشا فى فينا طوال السبت وغادراها ظهر الاحد ، وكان كل مافعلناه فيها هو قضاء ثلاث ساعات ونصف ساعة فى التحريات والمجادلة مع موظفى الحكومة وساعتين ونصف ساعة فى المؤتمرات الصحفية حيث أنكروا كوهن أن شاين ضربه ذات مرة على رأسه وقال : -

« ان ذلك مجموعة من الاكاذيب » ثم مضى يتكلم كلاما روتينيا عن استفساراتهم مع الاشارة بصفة خاصة الى زيارتهما للنمسا التى لم يحصلوا فيها على أية تقارير تثبت الخيانة الامريكية فى هذه البلاد ، وقد قابلا بطبيعة الحال السفير الامريكى ودامت مقابلته عشرين دقيقة فقط « ذهبنا بعدها للسوق لشراء بعض اللوازم ، فاشترى شاين سيجارا من نوع غريب ليضعه فى متحف سيجائره وعادا ليتناولوا غداءهما مع بعض المسئولين الامريكين ، وعادا بعد ذلك للفندق ليستعدا لزيارة مركز الاستعلامات السوفيتي .

وقد وجد شاين وكوهن بعض اسماء لكتاب امريكين فى تالوج مكتبة المركز السوفيتي نذكر منهم : اجنس سميلى ، تيودور دريزر ومارك توين . ولم تستغرق مراجعة الكتب اكثر من ثلاثين دقيقة عقد بعدها المؤتمر الصحفى الثانى لهما . وفى هذا المؤتمر سألها الصحفيون كيف ان الجهل بالموضوع مع نصف ساعة من التحريات قد امكنهما من معرفة أعمال حكومتهم فى فينا فاجابا بانهما يربطان ما يحصلان عليه من معلومات مع بيانات اخرى يتحصلون عليها من مصادر نمساوية موثوق بها . . ولم تستطع الصحافة ان تعرف كنه هذه المصادر النمساوية فتسائل كثير من الصحفيين وكبار الملحقين عن هؤلاء النمساويين الذين يساعدونهما على حين ان كل من زارهما هو صحفى المانى واحد .

ولم يمض يومان بعد ذلك حتى طارا عائدين الى مكارثي وكان ضحية كوهن وشاين فى هذه الزيارة شخص يدعى تيودور كاجان وكان ضابطا فى الشئون العامة فى الهيئة الامريكية العليا بالمانيا قال عنه أحد الشهود فى قضية صوت امريكا أنه فى الثلاثينات من هذا القرن كان يسكن شقة فى نيويورك مع أحد الشيوعيين وكان من الممكن أن يصمد مكارثي امام هذه الافتراءات لو لم يصف كوهن وشاين امام الصحفيين بانهما مجرد آلات لاقية لهما ، وكان من الممكن ان يزول هذا كله لولا أن خجل وغضب موظفى الحكومة الذين شهدوا الموضوع كله هو الذى زلزل الكيان الامريكى فى أوروبا وقد اجتمعت بعديد من الناس فى عواصم أوروبا أخبرونى بأن استقلالهم كانت مكتوبة ومعدة للارسال . وكان آخرون يريدون الاستقالة ومنتظرين تدبير عمل لهم أو اتخاذ الترتيبات اللازمة لترحيل عائلاتهم . ولا يوجد من يستطيع تحديد عدد هؤلاء الأشخاص الذين يرجع رحيلهم الى هذه المسألة ، كما لا يوجد من يستطيع تقدير أثر ذلك على القوة المعنوية لهؤلاء الناس ، فقد انحطت هذه القوة بحيث ادعشنى ان أجسد رغبة بين بعض الناس للتنديد بمكارثي بصورة عنيفة والسخرية بكوهين وشاين . وكان هذا يثير غضب واشنطن آنذاك ، وقد علمت ان كثيرين من الناس لا يهتمون سواء بقى هؤلاء الناس فى أعمالهم أولا .

نعود للحديث عن رحلة شاين وكوهن فيبعد ستة أشهر من عملهما معا وبعد شهرين من عودتهما من أوروبا عرف شاين ان جيش الولايات المتحدة الامريكية في حاجة الى خدمات وكان ذلك في أوائل يوليو .

وفي ابريل التالي انصب اهتمام أمريكا على تحقيق دار حول جهود شاين في خدمة بلاده بطرق أخرى وفي مهمات كلفه بها آخرون مثل مكارثي وكوهن وروبرت ستيفنسن وزير الجيش ، ولم يكن مكارثي راضيا عن ذلك بل انه يمكن القول ان مكارثي لم يكن مستريحا تماما الى شاين رغم ضمه الى حاشيته .

اما كوهن فكان يميل اليه . قال لروبرت ستيفنسن ذات مرة وكانا يتحدثان تليفونيا : « اننى أطلب منك خدمة شخصية .. أرجوك ألا تكاف شاين بأى خدمة .. انه شاب لطيف ولكننى اعتقد أن كوهن مخطيء في اختياره للعمل معه وقال عنه ذات مرة انه من أكبر الخبراء في الشيوعية ، وذلك ما كان يقوله مكارثي عن كثير من الناس .

والثابت أن مكارثي مع ذلك لم ينساقش كوهن في أمر شاين ، ونفى كوهن فأخذ يهصد الطريق أمام شاين بينما يضع العراقيين أمام الجيش وقواده والحقيقة ان ولاء كوهن لشاين وولاء مكارثي لكوهن هما اللذان أديا الى سقوط مكارثي ونهايته .

وفي أواخر ربيع سنة ١٩٥٤ كتب مايكل سترايت تقرير أذيع في التليفزيون عن موضوع محادثات مكارثي والجيش جاء فيه « دارت في واشنطن أخيرا دراما عجيبة ، لم يحدث مثلها في التاريخ الحديث ، دراما أطلق عليها اجتماعات مكارثي والجيش » ، ومن المؤلف حقا ان هذه الاجتماعات تمثل مهزلة لم يحدث مثلها أبدا في تاريخ أمريكا ، وقد استمرت هذه الاذاعات ١٨٧ ساعة في التليفزيون وراحا على الاقل ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ مواطن أمريكي .

وكان كل من كوهن وشاين يعتقد أن الجيش قد يستخدم شاين كمساعد لوزير الجيش ، وطلب شاين من وزير الجيش ان يحذف قضية والدورف تاورز ، وقد ابتهج الوزير شيبيل بذلك . وسأل شاين الوزير ستيفنسن عما اذا كان باستطاعته الاجتماع بالسنااتور مكارثي وهو يجري تحقيقا عن الجيش في قاعة المحكمة الفيدرالية في فولى سكوير ، ورحب ستيفنسون بالفكرة ، ووجه جينكينز الاسئلة التالية الى وزير الجيش .

جينكينز : هل لك شيء ما ... فيما يتعلق بالمعاملة الحسنة التي سيلقاها شاين ؟

ستيفنسن : حسنا ، لقد تباحثت مع شاين في سيارته .

جينكينز : هل يمكن ان تقص على مسامعنا مادار من حديث بينكما ؟

ستيفنسن : لقد دار الحديث حول ما فعلته في مطاردة الشيوعيين .

جينكينز : هل كان هذا الكلام صادرا عنك أم عنه .

ستيفنس : انه كلام شائن .. لقد اعتقد اننى استطيع أن أسير في هذا الطريق . وقد أخبرني انه يود أن يمد لي يد المساعدة - وذكر انه يعتقد انه من الحيز له ان يصبح مساعدا خاصا لي .

جينكنز : أى أكثر خيرا من أن يفعل ماذا ؟

ستيفنس : أفضل من التحاقه بالجيش .

وبدا كوهن بعد ذلك يبحث عن عمل لشاين وتولى هذه المهمة رئيس أركان حرب الجيش وايضا وزير الجيش ووزير الدفاع فعين ضابطين برتبة كولونيل لمساعدته في البحث عن امكانيات ذلك ولم تكن الامكانيات متوفرة . وقد سئل الجنرال والتر بيدل سمث وكيل الخارجية ومرافق الرئيس العسكرى سابقا عما اذا كان يستطيع التغلب على العقبات التى تحول دون ذلك .

واذا ما عدنا للحديث عن التحقيقات السابقة نجد أن الجمهور قد تعلق بمساعدة هذه التحقيقات ، لأنها كانت كالفصوص المثيرة ، ولم يكن الغرض منها شيئا ماديا فقط ، لقد حازت اعجاب مايربو على ٢٠٠٠٠٠٠٠ نسمة وكانت التحقيقات شاذة في صورتها ، وبالفعل لم تكن تحقيقات على الاطلاق بالرغم مما تخللها من اجراءات وتولى ادارة التحقيقات كارل مونت من زعماء الحزب الجمهورى بعد مكارثي - وكان يوجه المستشارين فى الحصول على المعلومات وقد تولى الشهادة من جانب اللجنة الفرعية وان جينكنز مستشار اللجنة الخاص . وانتهت التحقيقات بعد ذلك ، فقد تحولت القاعة الى مرتع للخصومات والمعارك والادلاء بالاعترافات ، أو بمعنى أوضح تحول المسرح الى حقيقة .

ولم تكن التعليقات متعلقة بكوهن وشاين والميجور بيرلس والجنرال زويكر ، ولكن كانت التحقيقات تنطرق الى الاحداث فى سيرها . ثم استدعى شاين بعد ذلك وحاول كوهن وشاين الضغط على الجيش غير أن الجيش لم يتقدم بشكاوى . وراح كوهن وشاين يعملان فى لجنة خاصة بالجنرال مايلز ريبير ضابط الاتصال التشريعى بالجيش وهو رجل اعتاد استلام المطالب من كابيتول هل . وقلا استجوبه مستشار الجيش جوزيف ل . ويلشى .

ويلشى : أكنت تعلمون فعلا بمركز كوهن كمستشار لهذه اللجنة ؟ ريبير : نعم . يا مستر ويلشى .

ويلشى : هل زاد هذا المركز من اهتمامك بالمشكلة التى تبحثها أو أضعفه ؟

ريبير : اعتقد أنه زاد من اهتمامى بها .

ويلشى : بغض النظر عن النفوذ غير اللائق (الضغط) هل تذكر حادثة تشابه هذه التى تورطت فيها تحت ضغط شديد ؟

ريبير : كلا ، لا أذكر مثل هذه الواقعة التى وقعت فيها تحت ضغط شديد .

وعين شاين في الجيش وبدأ يمدد بما لديه من خبرة ومعلومات عن الشيوعيين وما لبث أن أصبح شاين عضوا في الفرقة ل . بنورث ديكس في ولاية نيوجرسي التي يرأسها كابتن جوزيف ميللر .

وقد وصف ميللر المقابلة الاولى مع شاين بقوله : -

« سألتني شاين أو على الاصح اخبرني انه يعرف شخصا يدعى الكولونيل برادل وسألني عما اذا كنت أريد أن أقوم برحلة صغيرة الى فلوريدا . ولكنني قطعت كلامه قبل ان يتمه ، ولم يكن كابتن ميللر يقدر أهمية شأن وانتشرت حول شاين الاقاويل فكان البعض يقول ان لشاين سندا معيناً في واشنطن ، ذلك لانه يستطيع الحصول على الموافقة لجميع الاجازات التي يطلبها خلال فترة تدريبه الاساسية . وذات يوم وكانت الدنيا تمطر لمح الكابتن ميللر شاين مختبئا في عربة نقل بينما كانت بقية الفرقة تواصل ضرب النار ، بالرغم من هطول الامطار وتعلل شاين وقتها بأنه كان يدرس بعض القوانين وانه انما يهدف الى اعادة تنظيم الجيش على امس حديثة .

فلم يلبث كوهن ان سحب شاين من الجيش واعاده للعمل معه في اللجنة واشتركا معا في تحقيق قضايا الجنرال زويكر والميجور بيرس وكذا في مناقشات مكارثي الشهيرة عن الجيش .

وتكاتف مكارثي مع كوهن للانتقام من الجيش ، ومن المعتقد ان الدافع لمكارثي لم يكن الانتقام . فقد كان اهتمامه بشاين جزءا من حاجته الى كوهن . ولكنه كان يحتاج الى انتصارات يومية ، بينما راح كوهن وشاين يعملان معا لتحقيق بعض الانتقادات .

وتطورت الأمور واتسعت هوة الخلاف وشقته بين كل من مكارثي والجيش ، فالجيش يتهم مكارثي بأنه سلك هو وأعضاؤه طرقا غير قانونية ولا مشروعة لترقية شاين والانتفاع به على حين اتهم مكارثي الجيش بأنه حجز شاين رهينة ليجبره على ترك تحرياته الخاصة بالجيش .

ولقد زادت الهوة اتساعا بعد حادثة الجنرال زويكر واهانته واجبار ستيفنسن على سحب تصريحه الذي دعا فيه الجنرال الى عدم الانصياع الى طلب مكارثي والنهَاب الى اللجنة للرد على الاتهامات الموجهة اليه .

وفي رأيي ان المناقشات التي دارت بين مكارثي والجيش كان لها نتائج ثلاث هي :

اولا - انها اوقفت الى حين اتهامات مكارثي وامماله العدوانية الاخرى ضد الآخرين .

ثانيا - ظهر زيفه وخدامه وعرف كل أمريكي من هو مكارثي وماهو حقيقة الدور الذي كان يقوم به .

ثالثا - ظهرت المعارضة في أرجاء الكونجرس واستطاع ستيفنسن في هذه المناقشات ان يحول الحديث الى موضوع شائين .

وقد قطن مكارثي الى ذلك على الفور وسال ستيفنسن ست عشرة مرة عما اذا كان يرغب في انتهاء هذه التحريات مع الجيش وكان ستيفنسن يجيبه بقوله : « اننى أرغب في انتهاء تلك التحريات الا اننى بصفتى عضوا في حكومة ايزنهاور لا يجب أن أنهى عملا من المعروف أنه في صالح الدولة .. »

وهكذا كان مكارثي يطالب بانهاء تلك التحريات ولكن ستيفنسن كان يراوغه ويتهرب من الرد المباشر عليه وسنذكر على سبيل المثال محادثة بينهما دارت على النحو التالي :

مكارثي : هل لك ان تخبرنى اذا كنت تريد انهاء هذه المناقشات عن فورت مونموث ؟

ستيفنسن : اننى فعلا أريد انهاء هذه المناقشات حتى يتمكن الجيش من القيام بنفسه بالتحقيق وأن يوقف هذا الفرع الذى ساد في البلاد بدون داع أو مبرر .

مكارثي : كيف نجحت أخيرا في ايقاف هذه المناقشات ؟

ستيفنسن : كيف نجحت !!!

مكارثي : نعم لقد أوقفت المناقشات اليوم وسؤالى هو كيف نجحت في ذلك ؟

ستيفنسن : لا أرى ان المناقشات قد توقفت بعد .

مكارثي : لا تحاول ان تدعى انها لم تتوقف - لقد توقفت عندما أدركت انت أو شخص غيرك الاتهامات ضد كوهن وشاين ، والى أنا كذلك انه لا داعى للمراوغة .

وكان ذلك صحيحا ، فقد توقفت بالفعل مناقشات فورت مونموث ولكن بعد ان عرفت البلاد بأسرها ان مكارثي عدو لاي نظام معمول به في أمريكا ، وقد ساعدت على تأكيد تلك الفكرة بعض الاحداث التى تلت ذلك ولعل أهمها المناقشة التى دارت بين جوزيف ولشى ومكارثي حول خطاب أرسله ادجار هوفر الى مخابرات ح - ٢ والذى وصل لمكارثي عن طريق أحد أموانه ...

ولشى : سيناتور مكارثي ... عندما مثلت أمامنا أظنك عرفت اننا سوف نسألك عن الخطاب ؟

مكارثي : لقد استنتجت ذلك :

ولشى : وفهمت طبعاً اننا سنسألك عن الجهة التى حصلت منها على هذا الخطاب ؟

مكارثي : لن اجيب على هذا السؤال .

ولشي : ان القسم الذى أقسمته أمانا معناه وعد بأن تقول الحقيقة .

مكارثي : مستر ولشي . . انك لست أول فرد يريد أن يحاول أن يجعلني أخون الثقة وأعطى أسماء أعوانى ولن تكون أكثر نجاحا ممن سبق أن سألوني هذا السؤال .

ولشي : اننى أسألك فقط : هل ستوفى القسم الذى أقسمته هنا؟
أى انك ستدلى بالحقيقة أمام اللجنة .

مكارثي : اننى أفهم معنى القسم ياسيدى .

ولشي : شكرا سيدى . . . اذن أخبرنا عن أعطاك هذا الخطاب

مكارثي : جوابى هو لا ولن أخبرك عن أعطائى هذا الخطاب .

ولشي : هذا يعنى انك لا تقول لنا الحقيقة الكاملة التى أقسمت على الإدلاء بها .

مكارثي : يمكنك يا سيدى أن تستمر فى محاولتك هذه الى يوم القيامة ولكننى لن أعطيك أسماء أعوانى ومن يحتاجون لحمايتى .

ولشي : أين كنت يوم تسلمك الخطاب ؟

مكارثي : لا

ولشي : هل كنت فى واشنطن؟

مكارثي : ليس لدى إجابة عن هذا السؤال .

ولشي : هل أطلعت على هذا الخطاب أحدا ؟

مكارثي : لا أذكر .

ولشي : من كان أول شخص أطلع عليه ؟

مكارثي : لا أذكر .

ولشي : هل تذكر أحدا ممن أطلعتهم على هذا الخطاب ؟

مكارثي : اعتقد أن الخطاب قد حفظ مع أعوانى .

ولشي : حدد اسم من تسلمه من أعوانك ؟

مكارثي : لا أعرف .

ولشي : لا تعرف ؟

مكارثي : لا

ولشي : هل من بينهم كوهن ؟

مكارثي : جائز .

ولشي : هل كان كوهن بينهم أو لا ؟

مكارثي : لقد قلت من الجائز .

لقد أظهرت التحقيقات صورة الشخصية المدمرة وهى صورة أخرى للشاهد العنيد الذى حاول ولشي أن يستجوبه لقد كان مكارثي

مستعلبا على القانون برفضه تسمية الاشخاص الذين يعدونه بالمعلومات، كذلك كان متجاهلا للنظم المتبعة وللقواعد والاحترام لقد كان يثير الارتباك والفوضى في الجلسات متى اراد . قال ذات مرة : « لقد أصابني التعب والملل من الجلوس مع كثرة تريد مقاطعتي دائما في اثناء الحديث . وبعد ذلك قاطع مكارثي أحد المتكلمين قائلا :

مكارثي : ياسيادة الرئيس ؟

الرئيس موندد : حافظ على النظام .

مكارثي : صف سلوكي كما تشاء ، نظام او غير نظام ... هل لى الحق عندما يتحدث مستشار وزير الدفاع او مستشار وزارة الدفاع او المستر آدمز ان اقاطعه لتصحيحه ؟ هل لى الحق في التصحيح ؟ او هل اترك بيان كالذى القاه مستر ولشى دون تصحيح ؟

ومنذ صيف سنة ١٩٥٣ كان ثلاثة من الديمقراطيين في اللجنة وهم جون ماكلان وستيوارت سيمينجتون وهنرى جاكسون قد رفضوا الاشتراك في اعمالها ذلك لان مكارثي قد اغتصب اختصاصات اللجنة .

وكانت شكواهم الرئيسية هي ان : مكارثي عين اشخاصا للعمل في اللجنة بدون استشارة اى منهم . كما انهم صرحوا بانهم لن يشتركوا في اى عمل حتى يعدل مكارثي عن طريقته لكنه لم يعدل عنها وفقط اعلن في اوائل عام ١٩٥٤ انه سيعمل عنها .

ولو كانت هذه اللجنة الفرعية لجنة عادية لكان امتناع الاقلية عن العمل فيها مما يؤثر عليها ولكن اللجنة لم تكن عادية فلقد كانت ، في هذه الفترة بالذات ، أداة تهديد خطيرة .

ولقد استمرت اللجنة في التهديد قبل خروج هؤلاء الاعضاء وبعد خروجهم منها ، ومع ذلك فقد كان لانسحاب الديمقراطيين منها اثر لا يمكن اغفاله ففي عام ١٩٥٣ كان الشجاع هو الذى يستطيع ان يعلن معارضته للسناتور مكارثي ، حتى البيت الابيض كان يخافه ويخشاه ويعمل له كل حساب ، ومهما يكن فان انسحاب هؤلاء الثلاثة لم يغير من الامر شيئا ومضى مكارثي في طريقه الحالكة بدون مقاومة ظاهرة .

وكان لا بد من حدوث النهاية بعد الاجتماعات والمناقشات التى كان مكارثي بطلا لها او وجد الحزب الديمقراطى نفسه ملزما امام عشرين مليونا بمقاومة ذلك الذى اتهمه بأنه قضى حقيقتين من هذا القرن في الخيانة والذى مضى يحاكم كل فرد من هذا الحزب على حدة ، ووصلت القصة الى ذروتها من طريق كفاح الروح البشرية .

لقد كان اهتمام الناس كله منصبا على القائمين بالادوار الرئيسية وعلاقة بعضهم البعض اكثر من اهتمامهم بالصراع بين الافكار والمنظمات .

اما ماكيلان أحد الديمقراطيين الذين امتنعوا عن العمل في اللجنة الفرعية التى يرأسها مكارثي فقد انتهز الفرصة - فرصة التحقيق - بشأن أحد المستندات - وتساءل هل من حق اللجنة أن تحصل بالسرية

على مالا تستطيع الحصول عليه بالطريق الرسمي ؟ وأجاب مكارثي بأن ماكيلان يسعى لادخاله في السجن ، ويخيب ماكيلان عن ذلك ، لا يهتمي ذلك كثيرا فليس هناك من يخافك الآن سواء كنت خارج السجن أو داخله . ولم يكن هذا صحيحا ، إذ لم يكن الوقت قد حان بعد لزوال هيبة مكارثي وسلطانه وعلى أية حال فقد أعلن ماكيلان احتقاره له ، الذي لم ينتشر في اللجنة الفرعية وحدها بل في مجلس الشيوخ أيضا .

وعندما هاجم مكارثي ستيفارت سيمينجتون ووصفه بالجن ، نظر سيمينجتون الى باعث الفوضى قائلا : « لقد ذكرت شيئا من الخوف أريد أن أعلن من صميم قلبي انني لا أخافك ولا أقوالك وأفعالك في أي مكان وفي أي زمان ووقت » .

انتهت جميع مناقشات مكارثي عن الجيش يوم ٦/١٧ وبعد شهرين ونصف الشهر أصدرت اللجنة الفرعية أربعة تقارير قالت الاغلبية من الجمهوريين ان وزارة الجيش فشلت في اثبات اتهاماتها ضد مكارثي وان مكارثي فشل في تحقيق النظام داخل هيئته كما أعلن الديمقراطيون ان مكارثي تصرف تصرفات غير لائقة وشجعه على ذلك خوف ستيفنز .

ولم تكن لهذه التقارير أهمية تذكر فقبل ظهورها بل قبل كتابتها بوقت طويل كان واضحا ان هذه المناقشات أسفرت عن وضع جديد وهو ان مكارثي قد أصيب بهزيمة منكرة وان لم يكن قد انتهى تماما ، ان اللجنة الفرعية لم تعد خاضعة له وملك يديه . كذلك فان تحقيقات فورت مونموث لم توقف فحسب بل انها قتلت في مهدها .

أما كوهن فلم يكسب صديقا واحدا ، وأصبح إبعاده عن واشنطن امرا مفروغا منه . وما لبث أن استقال في أغسطس وعاد الى كسب عمله في نيويورك .

وفي ٣٠ من يوليو - بينما كان أعضاء اللجنة يحاولون تقرير رأيهم عن مكارثي والجيش - قدم رالف فلاندرز الى مجلس الشيوخ قرارا سريا مؤسسا على احتقار مكارثي للمجلس واحتقاره للصدق والناس ، وتبع مشروع هذا القرار مناقشات هزيلة وفي ٢ من أغسطس صوت المجلس ٧٥ ضد ١٢١ طالبا تحقيقا آخر ، وقد قضى القرار بتكوين « لجنة اختيار » لبحث الاتهامات الموجهة الى مكارثي على أن تقدم بعد ذلك تقريرا للمجلس . وقد جاء في هذا القرار أن المطلوب تحقيقه هو :

« ان تصرفات السناتور القادم من ويسكونسن مستر مكارثي لا تتناسب مع عضوية مجلس الشيوخ بالولايات المتحدة ولا تتفق مع تقاليد العضوية في هذا المجلس ، بل انها تسئ الى سمعة المجلس بأكمله »

وعلى الفور تشاور نائب الرئيس الأمريكي مع زعماء الاغلبية وزعماء الاقلية واختاروا فيما بينهم أعضاء اللجنة المذكورة وتم اختيار الاعضاء على أساس تمثيل مجلس الشيوخ الأمريكي لا الولايات أو الاقليم ووقع الاختيار على آرثر ف . واتكنز رئيسا للجنة وفرانك كارلسون وفرانيسيز

كيس من الحزب الجمهوري ، وأدوين جونسون وجون سي ستينيس ، وصمويل أرفن من الحزب الديمقراطي . وعندما سمع الناس هذه الاسماء قال بعضهم : « أن المجلس القى بالاسد بين بعض حملاته الرقيقة »

ولولا واتكنز رئيس اللجنة لكان من الممكن لمكارثي أن يتبع هذه اللجنة كما فعل مع سابقتها . ولكن واتكنز كان متيقنا أن عمله هذا سوف يحدد مصير مكارثي . وقد صرح يوم ٣١ من أغسطس في أول اجتماع عقده اللجنة « ترغب اللجنة في أن يكون مفهوما أن القواعد التي سنتبناها هي من أجل توفير المناقشة العادلة والجو القضائي نظرا لأهمية القضية المعروضة » .

وعلى هذا فان هذه اللجنة ستسير وفقا لتقاليد مجلس الشيوخ وذلك باستبعاد جميع الاعمال التي لا يسمح بها المجلس لنفسه في مثل هذه المناقشة .

وكان واتكنز يعني بذلك ما يمس وقار المجلس كتدخين السجائر والسيجار والفلين ، وباختصار منع التدخين في أثناء انعقاد اللجنة ومنع التعرض لموضوعات تتعلق بالدفاع عن الجمهورية وعلاقاتها مع البلدان الأخرى ، ولم يكن هذا متوقعا بطبيعة الحال ولذلك أصبح معظم الدفاع الذي أعده مكارثي والذي قال فيه : « أن هذه الدولة ومنشأتها معرضان للتدمير بواسطة الشيوعية العالمية » خارجا عن الموضوع الرئيسي الذي اجتمعت اللجنة من أجله .

لقد كان المعنى الواضح هو أن أمن الدولة وما يحوطها من أخطار ليسا بالسبب الكافي للقيام بأعمال من شأنها تلطيف سمعة مجلس الشيوخ الأمريكي بالوحد .

فالكفاح ضد الشيوعية شيء جميل ومرغوب فيه ولكن لا يمكن اتخاذ ستارا لاختفاء وغد لا يستحق بأفعاله أن يكون سناتورا أمريكيا .

ومع ذلك ومن باب الرحمة سمح واتكنز لمكارثي بقرأة بيسانه الذي ظهر منه بأن مكارثي كان يحاول جاهدا أن يتجنب توجيه اللوم إليه ، وكان هذا هو البيان الأول الذي تواضع فيه مكارثي لهجة واسلوبا .

وقال : « هذا بالنسبة لي موضوع خطير وهو كذلك بالنسبة الى الدولة كما اعتقد . لقد قمت بواجبي وبدوري في الحرب ضد الشيوعية على اكمل وجه . لقد قبل أنني السبب في تمزق البلاد والحزب ، والحقيقة أن التمزق موجود وربما يكون نشاطي قد ساعد على زيادته . أن المطلوب الآن هو عزلي من المجلس وأكون غير صادق اذا وافقت على ان الذين اتهموني لا يعملون بواقع من دوافع سياسية معينة » وكانت التهم التي ستبحثها اللجنة هي مايلي :

اولا - احتقار مجلس الشيوخ وجميع لجانه .

ثانيا - تشجيع موظفي الحكومة على خرق القوانين .

ثالثا - الحصول على وثائق ومعلومات ليس من حقه الحصول عليها ولا من سلطته استخدامها .

رابعا - اهانة زملائه اعضاء مجلس الشيوخ .

خامسا - موضوع الجنرال زويكر .

واستعانت اللجنة في عملها بمستشار خصوصى وهو ، ي ، والاس شادويك عضو سابق في الكونجرس مهمته قراءة مجلد ضخيم عن مكارثي قام هو بجمعه وقد احتوى على كل اهانة وجهها مكارثي لزميل له وكل تعليق نطق به في الاجتماعات والتحقيقات التي قام بها وكل مايتعلق بموضوع الجنرال زويكر . كان شادويك يقرأ هذا المجلد امام اللجنة وهو منفعل وكانت الحقائق مؤسمة لدرجة أن محامى مكارثي وهو ادوارد بنيت وليامز قاطع شادويك قائلا : انه وموكله يريدان بحث صدق وثائق شادويك ومدى صحتها ولكن وانكز رفض هذا الاقتراح بحجة عدم وجود وقت لذلك . واستمر شادويك في القراءة حتى بح صوته فاستأنفها بدلا منه مساعد له هو جاي دى فوربا .

كان المحامى وليامز قد وافق على أن يدافع عن مكارثي بعهد أن اخذ منه تعهدا بعدم الدفاع عن نفسه وبعدم مقاطعة المتحدثين بكلام لاوافق عليه هو وبعدم اهانة اعضاء اللجنة . وكان مكارثي عند وعده فلم يحدث من جانبه مايمس هذا الاتفاق .

وقد قيل في الدفاع عن مكارثي انه ليس الرجل الاول الذى يسىء استخدام سلطاته والذى يحصل على معلومات ليس من حقه الحصول عليها ، فقد فعل ذلك مثله كثيرون ، مثل بريسكوت بوسن من كونيتيكت ، وكذلك ادوين جونسون الذى ذكر أسراراً عن الاسلحة الذرية في التليفزيون كما انه ليس اول من اهان زملاءه . وكان الفرق بطبيعة الحال بين هؤلاء ومكارثي ان الاخير كان يقوم بهذه الاعمال بصفة مستمرة لا بصفة عارضة او طارئة بالاضافة الى انه كان يحض موظفى الحكومة على تقديم المعلومات اليه مباشرة سرية كانت أم غير سرية .

وان القول بان هذا الرجل يشبه هتلر لايقارن بالاهانات البالغة التي وجهها مكارثي لزملائه اعضاء مجلس الشيوخ .

وأخيرا وفي النهاية طلبت اللجنة من المجلس اعلان عدم رضائهم عن مكارثي لسببين هما : -

اولا - احتقاره للجنة الفرعية للامتيازات والانتخابات منذ سنتي ١٩٥٢/٥١ .

ثانيا - اهاناته للجنرال زويكر عام ١٩٥٤ . وقد أعدت اللجنة تقريرا من ٤٠٠٠ كلمة شرحت فيه توصياتها وعجزها عن ايجاد سبب آخر غير هذين السببين مما يبرر طرد مكارثي من المجلس .

وتأجلت مناقشة التقرير بسبب مرض مكارثي وانتقاله الى المستشفى وفي ١٩٥٤/١٢/٢ انعقد المجلس وصوت بأغلبية ٦٧ : ٢٢

بالموافقة على تعديل التقرير ورفع منه موضوع زويكر وأضيف إليه موضوع اهانة لجنة واتكنز وفيما يلي هذا القرار :

« القرار الخاص بتصرفات سيناتور وسيكونسن مستر مكارثي .

القسم الثاني : عندما كتب السيناتور مستر مكارثي الى رئيس فشبلى فى التعاون مع اللجنة الفرعية للامتيازات والانتخابات التابعة للجنة الادارية والقانونية بمجلس الشيوخ فى تسوية الموضوعات التى تخص هذه اللجنة وتتصل بعمله كسيناتور وتعرضه لشرف المجلس وانه بدلا من أن يتعاون مع هذه اللجنة اهان أعضائها الذين كانوا يحاولون القيام بواجباتهم مما ادى الى اغفال الاجراءات الدستورية للمجلس . وقررنا كذلك أن تصرفات سيناتور وسيكونسن مستر مكارثي تخالف التقاليد المتبعة فى مجلس الشيوخ ولذلك قررنا ادانته .

القسم الثانى : عندما كتب السيناتور مسستر مكارثي الى رئيس لجنة الامتياز طالبا دراسة الاتهامات التى تستوجب عزله بعد أن أصدرت اللجنة تقريرها وقبل عرض التقرير على المجلس اتهم ثلاثة من أعضاء لجنة الاختيار بانهم خونة . وفى تصريح صحفى يوم ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٥٤ صرح بأن رئيس لجنة الاختيار مستر واتكنز جبان بدرجة لم أسمع بها من قبل وانه كان ينتظر أن يخاف واتكنز الاجابة عن الاسئلة ولكنه لم يتوقع أن يكون من الغباء بحيث يصدر بيانه ، وانهم اللجنة بانها تقلد الاساليب الشيوعية وانها شوهت وحذفت الحقائق حتى تحصل على موافقة مجلس الشيوخ على توصياتها .

واستمر مكارثي على عهده لمحاميه بعدم المعارضة والتكلم طيلة الاجتماعات ولكنه لم يستطع الصبر بعد ذلك وانطلق كالثور الهائج ، وبعد التصويت على القرار أعلن نائب الرئيس الأمريكى بأن هذا القرار ادان مكارثي ولم يعزله .

الفصل الخامس

الأيام الأخيرة

لم يتعرض مكارثي للعقاب ولكنه انتهى وتلاشى ، فلم يعد خطرا على أحد من الناس كما لم يعد قوة لها شأنها في سياسة أمريكا .. ويمكن تأكيد ذلك بعد أن أصبح مكارثي حطاما في المقبرة كما يستدل على ذلك من التاريخ المكتوب للأيام الأخيرة ، لقد كان ذلك واضحا لبعض الناس آن ذاك وخاصة لمن كان يعرف مكارثي عن كثب . ومن هؤلاء نائب رئيس الجمهورية نيكسون الذي كان على اتصال وثيق بمكارثي نفسه . ولم يستأنف نيكسون دوره كداعية سلام . وقد أشار على رئيس الجمهورية بأن السلم لم يعد ضروريا .

وقد اجتمع نيكسون بايزنهاور ذات يوم ليخطر به أن الأمر قد انتهى وبعد المقابلة ذكر نيكسون للصحفيين بأنه ذكر الرئيس بمثل قديم يقول : لا توجه ضربة الى ملك الا اذا تيقنت انها ستقضى عليه . ولقد وجهت الضربة الى مكارثي ، ولكنه ظل على قيد الحياة . ورأى نيكسون وآخرون أن يأخذوا من هذه التجربة عظة جديدة .

وفي هذا الأمر بعض الصحة ولكنه ليس صحيحا بالفعل . وهذا ليس كذلك في العالم الحر . حيث لا توجد سجون كالباستيل أو ما أشبه ذلك . والفشل في إحراز النجاح أول مرة أو ثانية أو ثالثة مرة لا يقضى على الثائرين . أن المعتالين مصيرهم الموت سواء نجحوا أو فشلوا . وحتى في روسيا ، فإن أعداء القيصرية ضربوا القياصرة والنظام القيصرى عدة مرات قبل أن تكفل جهودهم بالنجاح سنة ١٩١٧ ويبدو بالفعل ، أن الهزيمة عنصر ضرورى للنجاح ، وتمهيد لابد منه لاجل النجاح . ولا يوجد زعيم شعبى عظيم - ابتداء من هتلر من ناحية حتى غاندى من ناحية أخرى لم يحدث له الفشل والنجاح .

ولا يسرد لنا التاريخ حدوث تقدم وازدهار من العدم كما حدث بالنسبة لارتقاء مكارثي للسلطة . لقد كانت هزائم مكارثي شديدة متلاحقة ولكنه على الأقل ظل حرا طليقا وعضوا في الكونجرس الأمريكى وهذا يعنى انه لم يكن اميرا لدى حكام البلاد .

لقد كان أمامه أربعة أعوام قبل انقضاء مدة انتخابه عن ولاية وسكيسن . وفي انتخابات سنة ١٩٥٤ انتقلت السيطرة على الكونجرس الى أيدي الديمقراطيين وفقد مكارثي رئاسة اللجنة التى ظل متمعنا برياستها . ولكنه لم يكن ليلومه حزبه على ذلك ، وكان هربرت ليمان

ورالف فلاندرز قد حاولا قبل بدء الانتخابات سحب رئاسة هذه اللجان منه ولكن المجلس رفض .

وبعد الانتخابات تقدم كليفورد كيس من ولاية نيوجيرسي بطلب لزعماء الحزب الجمهوري طالبا اقصاء مكارتى من لجنة الاعمال الحكومية وعن تحريرات مجلس الشيوخ ،
ولكن الطلب رفض كالمعتاد .

وقد صوت نصف عدد أعضاء المجلس الجمهوريون ، ضد عزل مكارتى ولم يطالب الديمقراطيون بسحب أى امتياز منه .
فلو كان مكارتى قد سقط لاعتبرها الديمقراطيون فرصة سانحة لتعليقه في رقبة الجمهوريين للأبد .

كانت مناقشاته الشهيرة مع الجيش قد أثارت ضده عددا كبيرا من الامريكيين ، ولكن معارضتهم لم تكن فاصلة : فقد بقى لمكارتى عدد من المؤيدين .

وكان هؤلاء معجبين به وبمناقشاته مع الجيش . وقد شكل اللفنتانت جنرال جورج سترا تماير لجنة مكونة من عشرة ملايين امريكي يؤيدون العدالة بزعامة الاميرال جون كروملين وقدمت يوم الاقتراع على عزل مكارتى مريضة احتجاج الى البيت الابيض .
موقعا عليها من ٨٠٨ و ١٠٠٠ نسمة . كما عقدت اللجنة اجتماعا في نيويورك في ١١/٢٩ حضره مايربو على ١٣٠٠٠ نسمة وقد مدحت اللجنة مكارتى وابده كل من الاميرال وليم و . ستاندلى السفير الامريكي السابق لدى الاتحاد السوفييتى ، وكذا ابراكى لى حاكم اوتاه ومسز جريس برسو من جمعية فتيات الثورة الامريكية ، والفن م . اوسلى من الفيلق الامريكي ، وتشاس نجل مخترع الكهرباء اديسون ، وآخرون .
وكونت مدرسة هوتنقىل مظاهرة كان شعارها « هيا بنا الى ويسكنسن » وكان مكارتى في ذلك الوقت يشكو من المرض وكان معه جين مكارتى وروى كوهن الذى صاح في الجماهير البالغ عددهم ١٣٠٠٠ امريكي :

« ان مكارتى ، وأنا نرحب بالامريكيين الذى على شاكلتكم من جميع سياسى العالم » .

وظهر مكارتى بين قومه كعزيز قوم ذل الا انه كان لايزال قويا .

والحقيقة ان مكارتى لم يكن قريبا الى أحد في حياته مثل قربه من الناس في ماته ، لقد نشر ذات مرة تقرير عن ايام مكارتى الاخيرة ، تقديرها لشخصيته في مجلة « اسكوير » .

ولعل ما أدهشنى هو سبيل الخطابات التى وصلتني من الرجال والنساء التى تبين غضبهم وتقمعهم على تلطيخ اسم وسمعة مكارتى .
ولقد عبر أصحاب تلك الخطابات عن حبهم وشفتهم على هذا الرجل . وكان تعليق لاروس فوكولد هو : هنالك أبطال للشر كما للخير أبطال .
وكان مكارتى بطلا وربما كان البطل الوحيد بعد فرانكلين روزفلت » .

انتهى مكارثي عام ١٩٥٤ لا لانه اثبت بجرأ لم يستطع البرء سنها ولكن لانه أصيب بجرأ ليس لمثله هو بالذات أن ينجو منها ، وهى فقده القدرة على التأثير فى هيئة المجلس وظهور البيت الأبيض الأمريكى كقوة لا يستهان بها .

فقد صوت سبعة وستون عضوا أو الثلاثان آن ذاك على قرار اللوم فى نهاية عام بدء ظهور المعارضة من جانب شخص واحد هو وليام فولبرايت .

وبعد ستة أشهر ، عندما اقترح مكارثي آخر اقتراح باسمه - وكان محاولة لاحراج رئيس الجمهورية فى مؤتمر جنيف بالإصرار على توجيه سؤال عن حرية الدول التابعة لروسيا - رفض هذا الاقتراح بسبعة وسبعين صوتا مقابل أربعة . وكانت الاقتراحات أو القضايا التى يقيد بها مكارثي تناقش تبعا لأهميتها بغض النظر عن تقدم بها .

فبعد أن صدر قرار اللوم استدعى ايزنهاور ارثر واتكنز رئيس لجنة الاختيار وهناه على العمل الجيد الذى قام به لقد كان ذلك جراءة من ايزنهاور لاتعرف أية حدود .

وما لبث أن شاع خبر جديد وانتشر عن طريق مارى جين ماك كافرى سكرتيرة ايزنهاور ومؤدى هذا الخبر أن اسمى مبستر ومسز مكارثي قد رفعا من قائمة زوار البيت الأبيض وبذلك لن يمكن بعد بنابر سنة ١٩٥٥ من حضور أية حفلات أو استقبالات رسمية . وكانت هذه لطمة قصمت ظهر مكارثي ومالث أن تضاعف نفوذ مكارثي إلى درجة كبيرة جدا ، فبعد أن كان يرشح اناسا لشغل مناصب هامة فى وزارة الخارجية أو فى الجيش لم يعد يستطيع تعيين أحد فى وزارة البريد . فقد اقترح تعيين توماس ميلو كرئيس لبريد البتون وارثر سومرفيلد كمدير عام للبريد فقبل له أن ميلر ليس أهلا لهذا المنصب لانه كان مقامرا وسكيرا فى الماضى . وعندما حاول مكارثي إثارة المجلس ضد تعيين بول هوفمان فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة لم يبال ايزنهاور الذى كان قد أعلن عام ١٩٥٣ بأنه لن يعين أحدا ضد رغبة مكارثي وقبل الرجوع اليه .

وعندما سأل المعلقون السياسيون جيمس هاجرتى المتحدث الرسمى عن البيت الأبيض الأمريكى هل ايزنهاور قد اطلع على اعتراض مكارثي على تعيين هوفمان اجاب هاجرتى نعم لقد اطلعنا عليه . واتضح الموقف على صورته الحقيقية ... ذلك أن مكارثي أصبح يعانى بعض الصعوبات مع السلطة الدستورية فى البلاد ، وهكذا انهزم مكارثي ولم يكن يعلم ماينفخه له المستقبل . ولقد حاول مكارثي فى خلال السنتين ونصف السنة التى بقيت من عمره عدة محاولات للرجوع الى سابق عهده ولكنها جميعا باءت بالفشل ، اذ أنه كان كلما حاول التكلم فى أى موضوع مثل اطلاق السياسة الخارجية فى يد دوجلاس ماك ارثر كان معظم زملائه فى المجلس يغادرون أماكنهم لغرفة التدخين .

وكان ريتشارد نيكسون يدعو سناتورا للحصول محله كما كان

ينندون بونسون زعيم الاغلبية الجديد يترك مكانه لاعد الشبَاب
الديمقراطيين . وعندما كان يعلن عن خطبة مكارثي كان المعلقون
السياسيون والصحفيون يشغلون عنه بالحديث أو بأي شيء آخر .
وكان يرى بين حين وآخر في طريقه للمجلس وحيدا بدون حارس وبدون
صحبة كوهن ولم يكن يهرع اليه أحد ممن كانوا يقفون في انتظاره ،
وتجاهله الصحفيون ، ولم يبق معه سوى راي كيرمان الذي رافقه منذ
البداية ، وفي قاعة المجلس كان يخطو مكارثي حزينا مرات ومرات .

وعندما كانت تحين الفرصة ليظهر على شاشة التليفزيون كان
يوجه السب والاهانة لبول هوفمان وشيرمان آدمز ، وهارولد سباس
مستخدما كلماته وتعبيراته السابقة ولكن في ثوب آخر وصوت جديد .

وفي اوائل سنة ١٩٥٦ طلب مكارثي من ل . برنت يوزل وهو أحد
مؤيديه ان يكتب له بعض الخطب عن السياسة الخارجية والعسكرية
وكان بعض تلك الخطب مقبولا فاحدث تأثيرا مناسبيا في فترة صادفت
فيها أمريكا روح الفضل في اطلاق الصواريخ الموجهة .

وفي إحدى خطبه طلب مكارثي اعتماد مبلغ ٩٦٠ مليون دولار
للقوات الجوية زيادة على المبالغ المقررة لها في الميزانية ولكن كل افعاله
واقواله كانت بلا نتيجة حتى أنه شعر بمضى الوقت بأن كلامه أضحي
سخيفا وأن أحدا لا يستمع اليه .

وجاءت انتخابات سنة ١٩٥٦ ولم يكن لمكارثي أي دور فيها ، بل
انه لم يحضر الاجتماع الذي عقده حزبه في سان فرانسيسكو ، وكان
مكارثي قد أعلن بعد قرار ادانته انه يعتذر للشعب الأمريكي عن تأييده
لانتخابات ايزنهاور عام ١٩٥٢ على أساس انه اعتقد بأن ايزنهاور يعادي
الشيوعيين .

لم يسمع أحد هجوما على أية وزارة ، كما لم يسمع هجوما على
ادلاي ستيفنسون ولم تنبأه الحكومة والمسؤولون فيها بعدد الشيوعيين
الذين طردوا من أعمالهم ، وأخذ نيكسون على عاتقه مهمة العناية
لايزنهاور بدون الاستعانة بأي من أساليب وأقوال مكارثي ، وقال في
دعايته ، « ان ايزنهاور ايها المواطنين رجل كبير » وبرنامج ايزنهاور
يؤدي الى رفع أمريكا وعزتها » . وعقب الانتخابات وعندما بدأ جون
ماكميلان بشدد الخناق على دلف بيك زعيم جمعية عمال الاخوة الدولية
حاول مكارثي التدخل في القانون ، بأن يدعو الى التعديل الخامس في
قانون العمال .

ولكنه لم ينجح في هذا السبيل اذ أن نجمه قد بدأ يميل للانفول .
وفي تلك الاثناء اشتد المرض على مكارثي ودخل المستشفى أكثر من مرة
نيعالج من امراض لم تعرف حقيقتها أو لعل الاطباء لم يشاءوا الاعلان
عنها .

وعلى كل فان المرض الذي كان يشكو منه مكارثي كان يختلف
تماما عن المرض الذي كان يعلنه الاطباء فقد كان متعودا الشكوى مرة
من ظهره وثانية من كبده وثالثة من البروستاتا .

وكان يزيد وزنه مرة للدرجة كبيرة وكان مرة يفقده حتى يتكاد يصبح هيكلا . وقد اشتهر انه فقد ٤١ رطلا من وزنه في بضعة أسابيع . وقد أيد الأطباء تلك الظاهرة ولم يعرف أحد زملائه المخلصين حقيقة مرضه .

وحدث ذات مرة أن كان يتناول غذاءه لدى صديق له يدعى جورج سوكلوسكى وفجأة أحس بأوجاع ، ويقول سوكلوسكى نفسه انها كانت شديدة للدرجة كبيرة ولم يلبث أن انتقل للمستشفى حيث ظهر انه مصاب بالتهاب في الحجاب الحاجز .

ولقد قيل عنه انه لم يفق من الخمر طوال السنة الأخيرة من عمره ولا أظن أن ذلك صحيح ذلك لان مكارثي كان مدمنا على الخمر ولكنه لم يفقد عقله قط . ولعل الصعوبة في أنه بعد مرضه لم يعد يتحمل الشراب وكانت الكأس الثانية أو الثالثة كفيلا بالذهاب برشده وصوابه واستمر مكارثي في شربه ، كما وجد مايشغل به نفسه في الكونجرس كاي سيناتور آخر وكانت له حياته الاجتماعية الخاصة فقد تبنى هو وزوجته طفلة اسمها تيرني اليزابيث وكانا لها بمنزلة أبوين عطوفين وعندما كان يشعر بتحسن في صحته كان يخرج للصيد في غابات ويستونسون أو يقضي وقته في الزيارات .

ولقد اغرم مكارثي بجمع المال ، وكان ينفق بقدر ما يجمع وترك السباق والبوكر وأصبح من عشاق قراءة أخبار الأوراق المالية والأسواق وكاننا أراد أن يؤمن مستقبله بعد أن أصبح كبير السن وسياسيا قديما ودخل بعض مشروعات البترول واليورانيوم وأخذ يحسب مكسبه من أوراقه المالية كانما وجد فيها مايشغل بها نفسه .

ويعتقد البعض أن من أسباب موت مكارثي سوء تقديره لبعض الصفقات المالية التي عقدها وعادت عليه بخسائر فادحة على حين يرى البعض الآخر مثل سوكلوسكى انه كان يشعر بأن ريتشارد نيكسون نائب ايزنهاور قد خانته وهو الذي وضع فيه ثقته طيلة عمره .

وفي ١٩٥٧/٤/٢٨ دخل مكارثي المستشفى البحري الرئيسي بماريلاند وأعلنت زوجته انه يعالج من اصابة بركبته ولكنه وضع في قسم الأعصاب وأعلن أطباؤه انه مصاب بالتهاب في أعصاب أطرافه وهو مرض ينتج عن كثرة الأدمان على الشراب ، وظل مريضا بعد ذلك في بيته لعدة أسابيع وأصبحت حالته خطيرة . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى وأفته المنية في صبيحة يوم ١٩٥٧/٥/٢ وزوجته جالسة الى جواره .

وقد أعلن أحد المعلقين على ميعاد وفاته بأنه قصص أن يكون مادة مثيرة في أخبار الساعة السابعة وهو الوقت الذي كان يحبه ويفضله .

تعددت الآراء لدى الكتاب عن مكارثي وقالوا انه على الاقل كان مقتنعا بما يقوم به ولعل أفضل ما قيل عنه « انه كان حيا بين خلال دموع سيدة أمريكية كان زوجها يحب مكارثي على الرغم من احتقاره للدور الذي يلعبه فقد عاد الزوج يوم ٢ / ٥ فوجد زوجته جالسة تبكي

بجوار الزاديو فيادرت زوجها بقولها انها استمعت لجميع التعليقات التي اذيعت من مكارثي الراحل وانها كلها خطأ في خطأ - كلهم كانوا يكرهونه لاخلاصه وتفانيه الشديدين . كل واحد قال عنه على الاقل : لقد كان مخلصاً مؤثماً بما يقوم به ، ولم يكن أحد يستطيع مهاجمته في أثناء عظمته . ان خير شيء يمكن أن يقال عنه انه كان كريماً مع اصدقائه وان بعضهم أحبوه رغماً عنهم .

وبناء على طلب زوجته مسرخين اقيمت له جنازة في مقبرة الكونجرس الى جلثت الجنازة التي اقيمت له في كاتدرائية سانت ماثيو وكان طلب زوجته هذا أول طلب يقدم من هذا النوع منذ ١٧ عاماً اي منذ وليام بواره .

وقام الكسنتو وبلي الذي سجن مكارثي لقره عام ١٩٤٤ قتل محضر الوفاة وسرد تاريخ حياة مكارثي . وشيعة اثنان آخران هما مايك مانسفيلد ووين مورس وكانا من الد أعدائيه ولكنهما لم يجملعليه بعد وفاته .

ولقد لفت جثة مكارثي بالغلم الأمريكي وبعد الصلاة عليه وضعت النش في طائرة حربية وزافقه صديقه الراحل هرمان ولكر واثنان من المراسلين الى ايلتون وجم الحزن المنطقة . وفي الاسباع من مايو اقيمت مراسم الجنازة في كنيسة سانت ماري الرومانية الكاثوليكية في ايلتون ودفن بمقبرة الكنيسة التي تطل على نهر فوكس .

وعند ما مات مكارثي صاح المؤمنون به ان موته كان خيانة وجريمة وهذا ما يحدث عادة من جانب الانصار والمريدين . فقال اجدهم ان الشيوعيين والديمقراطيين من انصار ترومان ودين اتشيسون وعندما من المنظمات والوزارات الحكومية وغيرها وزمرة آدمز براونل - قد تجالفت مع قوى الظلام والدمار والخيانة لتسحق هذا الوطني ، وقد نجحت في القضاء عليه . وقال الناشر ويليام لوب من مانشستر (نيو هامبشير) وهو من انصار مكارثي ان عصاة يتزعمها منافق في البيت الابيض قد سحقت زمرة مكارثي وغيره .

وقالت صحيفة اخرى في تكساس ان اذنان الكرمليين هم الذين قضوا على مكارثي بنطه وذكر قولتون لويس ، وهو ليس من انصار المكارثية ان قرار اللوم كان السبب المباشر في موت مكارثي . وقال جوزيف سوكولسكي وهو من انصار المكارثية . لقد تعقب مكارثي أولئك الذين لا يستطيعون النسيان او المغفرة وذلك حتى الموت .

وهناك ما يدعو الى الافتراض بان الكارثة التي اصابت مكارثي في النهاية تتعلق بالاحلام التي كانت تراوده عن تربية قطع كبير من الماشية وتحقيق ارباح خيالية ولكن هذا كله انتهى التفتش للمجد ، ويحتمل أن يكون زوال الاحلام هو الذي أدى الى الموت ، أو أن يكون السبب هو الخير الذي أدى الى انقشاع الاحلام وهذا أقصى للموت .

وهناك آراء وأسئلة متجربة حول هذا الامر اذا أردنا الخوض فيها فلماذا اصابته نكسة نتيجة أحداث سنة ١٩٥٤ ؟ ولماذا تدافى بسرعة ؟

وأمام انهياره هذا هل يستطيع أحد الا أن يصنفه بأنه من زعماء الفوغاء والمخادعين ؟!

ولقد استخدم مكارثي أحد المحامين وسعى الى الحصول على براءة لنفسه ولم يكن يريد النزول عن شيء من كرامته في سبيلها . والسؤال هو لماذا كان يريد ذلك ؟

كان مكارثي يمثل للرأي الرسمي المحترم . وكان يشترك في الرأي القائل انه ليس له مستقبل باهر ، وكانت المشاركة في هذا الرأي قاتلة وربما اعتبر اللوم الذي وجه اليه تحررا له خلاصا ، ولولا ذلك فيرما أقدم على أشياء لا تعرف نتيجتها .

وبدلا من ذلك مات لانه لا يريد الرضوخ والاذعان ، وهذا في ذاته أمر شاذ وغير مألوف . ولو بحثنا في صفحات التاريخ ما وجدنا زعيما يموت بمثل تلك الطريقة . وإن أشخاصا كمكارثي من الزاهدين تكون أحلامهم في المجد والسلطة أعمق من أي شيء آخر . ولتحقيق هذه الاحلام يتخلون عن كل شيء ، ومن المستحيل أن نتصور موت هتلر بسبب أشياء تافهة كسماعته مثلا أنباء غير مسارة من مساعده .

ومن الامور العادية ان زعماء الفوغاء كالشعراء والعشاق . لا يتأثرون بالرفض واللوم . وما نحن أولاء نرى ان جوان يرو بعد طرده من بلاده والتجائه الى إحدى الدول يواصل اشغال حماس أنصاره واثارة الاحداث في علة دول .

ولقد كان مكارثي ذا مواهب خائفة كرجل من الفوغاء ولكنه كان يلتفت الى الشيء اللازم من مواهب الفوغاء وهو الاعتقاد بقضية مهمته . وقد يقطع الفرد شوطا كبيرا في السياسة وخاصة الديمقراطية منها - دون اعتقاد او ايمان - ولكنه يحتاج في التغلب على العقبات الى قوة يستلهمها من قوة ايمانه بفكرة او من الشعور بصواب طريقه . وإذا لم تكن لديه معتقدات قلن يكون له شيء يستلهم منه الشجاعة أو القوة .

ان افتقاد العقائد والمبادئ جعل مكارثي له أهميته كإنسان أمام أنصاره وأعدائه . لقد كان من الافضل بالنسبة لنا أنه سعى وراء الحق وليس وراء السلطة وطريق المجد ، ذلك لانه من السهل في هذه الحالة احباطه وهدمه .

وإذا كان مكارثي يؤمن بشيء ما ، فقد فقد حسدا الايمان في وقت مبكر (أو انه حصل عليه في وقت متأخر جدا فلم يستطيع الاستفادة منه) وقد جمع مكارثي السلطة كلها في نفسه وفي القوضى التي كان يعلم قدرته على إثارتها .

لقد كان منافقا في وقت كان النفاق لا يثير الإعجاب - وانه من الافضل بالنسبة للعالم أن يكون شخص يمثل قدرة مكارثي هذه له خصلة حقيرة بدلا من أن يكون متحمسا ولديه خصلة هدامة شريرة .

ولقد كانت الحكمة التي استخدمها مكارثي شريرة هدامة ولكنها لم تحرقه وانما أحرقت الكثيرين غيره .

الفصل السادس

نظرة إلى الماضي بعينه الحاضر

يتركز خطأ مكارثي في عدم اقتناعه بأهمية الدور الذي كان يلعبه ولكن لنفترض جدلا انه كان يسعى للحصول على الشهرة والسلطة وانه تمكن بأعجوبة من النجاة من هزائم سنة ١٩٥٤ أو ان رغبته قد أوصلته إلى أبعد من ذلك، أو بمعنى آخر لنفترض انه إستطاع اثنا عشر على الأمريكيين تأثيرا خطيرا وأصبح قائدا للجماهير . فماذا كان يمكن أن تصبح عليه أمريكا والأمريكيون ؟؟

— الحقيقة ان مكارثي ظهر في وقت كانت فيه الظروف مهيأة لاستقباله . فمئذ موت روزفلت لم تجد أمريكا زعيما بدلا منه ، ولم يكن ترومان ولا أيزنهاور قادرين على زعامة الشعب والجماهير بالرغم من توليهم منصب الرئاسة في البلاد .

كان هناك قافت وادلاي ستيفنسون ، ولكنهما لم يتمكنوا أيضا من قيادة الجماهير بالرغم من المزايا التي كانا يتمتعان بها ، وكان هنالك بالإضافة إليهما دوجلاس ماك آرثر وجورج كاتلت مارشال التي حطمت مكارثي .

ولعل مكارثي كان سيصبح في وقت ما رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية لولا بعض الضعف الذي كان يعانيه . وإذا ما حدث ذلك فانه مما لا شك فيه ان أمريكا كانت ستتغير تغيرا كليا في سياساتها الداخلية والخارجية على السواء ولكن الأمة التي أدانت مكارثي لم تكن لتتذكره يتولى منصب الرئاسة بأية حال .

وإذا أردنا أن نتصور مكارثي في البيت الابيض فغلي المرء أن يتخيل حدوث تغير في الطابع والادارة والنوق الوطني . ان الأمة التي اختارت أيسر السبل سنة ١٩٥٢ و سنة ١٩٥٦ لن تقبل مكارثي رئيسا للجمهورية ويمكنها أن تختاره عضوا في مجلس الشيوخ أو مهيجا داخل هذا المجلس أو خارجه ومع ذلك فلقد كان في استطاعة مكارثي اذا استمرت الاحوال على ما كانت عليه يوم ازدهاره أن يصبح الحاكم الفعلي للبلاد بدلا من كونه الحاكم غير المباشر لها .

وهناك صعوبة في الحكم على امكانية ظهور قواد وطنيين من الفوغلة نتيجة لعدم وجود خبرات سابقة في هذا الموضوع وظهور قائم من هذه الشائكة في بلد يتمتع أهله بالحرية . لقد كان هناك قدر كبير من السوقية

في سياستنا وذلك لوجود ما وصفه هــ ل فيكن بمثابة المخاوف والتعصب الشعبي عند كل سياسي ديمقراطي ، ولو نظرنا الى هذا من الناحية التاريخية لوجدنا ان قلة قد نجحت في ذلك - أي في ان تنوس مجلس الشيوخ تحت أقدامها أو سحق الجنرالات والقادة .

ففي القرن التاسع عشر ، ظهر عدد من الغوغاء ، واما في القرن العشرين وبالرغم من منوح انقصر ووجود الميادين للمناقشة كان هنالك - باستثناء مكارثي - قلة حظيت بنجاح ضئيل يمكن الاشارة اليه في المستقبل .

وليس هذا يعني ان أمريكا لم تشهد محاولات أخرى كمحاولات مكارثي . . . ففي كتاب «قادة السوق والغوغاء الأمريكية - القرن العشرين» للكاتب رينهارد هــ ل «لوي» المتخصص في هذه الشؤون يحكي الكاتب عن تسعة رجال ورجل وزوجته يدعيان جيمس وميريام فرجاسون ظهرا في تكساس منذ أربعين عاما . وهؤلاء الرجال التسعة على التوالي : جيمس مـ ل كيرلي من ماساتشوستس ، بتود ولبيتون والمستيسى وليام هال توفيتسون من إلينوي ووليام هـ ل هرايز من أوكلاهوما وفرانك هوج من نيوجيرسي وفرجاسون وزوجته وإيوجين تاليدج من جورجيا وفيتور مارك كاتشينو من نيويورك وهيو لونيخ وأخيرا مكارثي .

ولم يشتهر من كل هؤلاء سوى مكارثي ولونيخ . والشئ المؤسف له خفا ان ظهور مكارثي كان في وقت وصلت فيه أمريكا الى مركز حساس بالنسبة للعالم .

كان ظهور مكارثي تنبيها الى احتمال قيام زعيم للغوغاء في أمريكا . ومن الواضح انه لو كان مكارثي غير ما كان عليه لكان قد استمر بعد عام ١٩٥٤ . ولفشلت الجهود التي بذلت لادانته وعزله .

وكأي شخص آخر كره مكارثي والمكارثية كنت متأثرا ومقدرا للقوة التي يمثلها مكارثي وقوة معارضة على حد سواء وان كنت قد اختلفت مع البعض في آرائهم عنه . يقول كارل وـ ماير الذي كتب الكثير عن مكارثي : « انها رحلة بغضبة أن يعود المرء للماضي القريب لبحث في الاوراق والصفحات الاولى من الجرائد عن هذا الوقت الذي كانت المنشآت والمنظمات والهيئات الاجتماعية تتساقط فيه امام هجمات رجل لا يؤمن بشئ على وجه التجديد » . ولست أرى هذا الرأي في الحقيقة - ان الهيئات الاجتماعية لم تتساقط امام هجمات مكارثي بل تأثرت كثيرا بها وما زالت آثارها باقية فيها كفجوات الرصاص في قلعة حصينة ولم اسمح قط عن تنظيم تمزق . أو انتهى بسبب ضربات مكارثي ، ولست أرى كذلك الرأي القائل بأن مكارثي كان مسلحا بخجل ضحايا . فلقد كانت له أسلحته التي خلقها أو زورها أو التي استعار بعضها الآخر ليضرب بكل قوته .

كان بعض ضحاياه يخلطون ولكن البعض الآخر لم يخلط وبعضهم كان شجاعا جريئا واستطاع مكارثي بعد وقت أن يختار لنفسه ضحايا يتسمون بالجرأة ، أما حقيقة الشخص أو التنظيم فلم تكن تهمة في قليل أو كثير . لقد كان اختياره للضحايا غير مقيد أو محدود . ولم يكن لهؤلاء

نفوذ خارج حدود ولايته. وكان بعضهم أمثاله توميسستون ووجان - وهما محافظان - وماركانتوفيو - من رجال الكونجرس يتمتعون بنفوذ ضمن أهل بلدهم .

ولم يكن للماركانتوفيو أية شهرة خارج منطقة هارلم ، وشرفها في منتهى ويجدر بنا أن نتساءل : هل هؤلاء أهل كفوءة للحصول عليهم على اعتراف لقد كان بعضهم من الأوغاد ، وكان البعض من ذوى السخينة المنجوعة العائنين ، وعلى أية حال فإن مكارتى ولونج هما اللذان حصلوا على نصيب من الشهرة .

وإذا كان يحق لى الاعتقاد بأننا نحتفظون فليس ثمة تأكيد بأن هذا الحظ سيبقى . فهناك طرق عدة تجعلنا نعتزف بأن مكارتى أول غوغاتى وطنى ، وهناك سبب يجب ألا نتجاهله وهو أنه ظهر فى وقت كنا فيه دولة أكثر من أى وقت مضى من الناحية السياسية على الأقل .

ومنذ ثلاثين سنة مضت كانت سياسة الحكومة الفيدرالية المحلية تفرض على حياة معظم الأمريكين ، وأما بالنسبة للسياسة الخارجية فغدا كانت لنا سياسة خارجية فلم يكن يهتم بها أحد سوى الأقلية . وكان من الممكن أن يستغل الساسة الأمانى والمخاوف ، ولكن لا يعدد إلى ذلك السياسة الذين يتعاملون بالقضايا الوطنية والدولية .

وقد انكسرت الآية الآن . فمن المستبين الآن أن نهتم بمن هو المحافظ أو العمد أو ما هى سياسة كل منهما . وتقوم الدوائر الحكومية الإمبريالية الاتحادية بالاهتمام بالخدمات اللازمة والعامه . ولكنها لم تكن تستطيع الامتثال بسياساتها كما كانت قديما ، وبما من المحتمل أن تؤثر الحكومة الفيدرالية على هذه السياسة لأنها تستأيد الولايات بمعاونتها وبذلك تمارس نفوذا على هذه الولايات . وما يهتم به المواطن هو التعليم والضرائب والسياسة الزراعية والعمل والإسكان وغيرها . وأما السياسة العسكرية والخارجية فهى ذات أهمية أكبر . وكانت لهذه السياسة أهمية كبيرة بحيث كانت الواقعة الرئيسية التى هزيت منها الميكارثية . ولأن يجد المرء التعصب يتخذ طابعا سياسيا فى أيامنا الحالية وليس التعصب هو إزاء النقد والعمل أو أى شيء محلى ولكن إزاء السياسة الخارجية .

ولم يكن خجل جورج كاتلت مارشال بطبيعة الحال هو الذى حدا بمكارتى لاتهامه بل كانت جرأة رجل يسمى جوزيف دياموند مكارتى وكان هناك أشخاص لا يستطيع مكارتى أن يتجاهلهم فكان لابد له من مهاجمة الرئيس الأمريكى ووزير الخارجية والحكومة بأكملها .

ولا شك أنه استهبطت الأضرار ببعض الهيئات الحكومية أضرا بالغا وأصاب بعضها الآخر ولكن لم يؤذيها كلها . وقد أمكن فى بعض الأحيان تصحيح الأوضاع التى قبلها مكارتى فى هذه الجهات الحكومية كما أمكن انتشال الدبلوماسية الأمريكية التى أطرح بها مكارتى من هذتها .

ومن القواعد المعروفة أنه لا يمكن فعبيل شيء فى وقت من الأوقات بعد فوات الفرصة أى ضياعها أو سوء استخداها . ولقد أمكن المستوة

الثانية مناقشة السياسة الامريكية على ضوء المصلحة الوطنية وليس على ضوء موقف المكارثية . وليس معنى هذا انه يمكننا أن نقول بأن السياسة تصاغ بغض النظر عن الامور غير المألوفة

ولم يحدث أن سئحت مثل هذه الفرصة - وإذا حدث - وظهر اليوم ان هناك فائدة أكثر من الخسارة في الاعتراف بحكومة المانيا الشرقية فان الفرص - لاسباب محلية - لا يمكننا من الحصول على هذه الفائدة . وهذا أمر يرثي له ولكنه ليس قصة تستحق اطالة النظر . ولا يوجد تشابه بين الموقف اليوم وما كان عليه منذ خمس سنوات عندما كان الحسد في المنطق غير ممكن بالنسبة لكثير من الناس الذين يعملون في الدبلوماسية الامريكية .

وقد ظهرت عقبات في بلادنا وفي غيرها - أمام السياسة البعيدة عن الحكمة أو الجهل ، ولقد لاحظت انه عندما كان مكارثي بارزا فان منافسيه كانوا يقلقون عليه السبل - وإذا رغب - أحد خبراء وزارة الخارجية في شئون ألمانيا أو الصين أن يناقش اليوم قضية الاعتراف بهاتين الدولتين الشيوعيتين أمام لجنة من لجان الكونجرس فانه يستطيع ذلك دون أن يخشى كثيرا على منصبه وعمله .

وإذا كانت القوة المعنوية للخدمة الدبلوماسية قد أستهضت ، لا من أجل الخدمة العلمية فاننا لا نزال نحتاج لحسن النية من جانب الافراد اذ لا تزال لجنة التحقيقات في الكونجرس متأثرة بنفوذ مكارثي . وقد أصبح من المعتاد لدى اللجان أن تحقق وليس الهدف الحصول على معلومات مفيدة وانما لتشويه سمعة الاشخاص أمام الرأي العام - وهذا أثر من آثار مكارثي على الكونجرس .

لقد ابتدع مكارثي نظام الاستجواب وسؤال الشهود على حسب التعديل الخامس للقانون، ومنذ زوال عهده حاول بعض رجال الكونجرس استخدام هذا التعديل ، والواقع اني أريد أن أبين بأن ما لدينا انما هو خليط من الاشياء وان الامور تختلف من أحد جوانب الحكومة والسياسة الى الجانب الآخر ، وأنا على يقين بأن المرء يستطيع دون عناء أن يثبت حدوث هبوط في حدة المناقشات السياسية نتيجة تجربتنا مع المكارثية

ويبدو لي انه من الضروري أن نأسف لكل ما يدعو الى الاسف ومع ذلك فاني أعتقد أن إحدى الهيئات الحكومية قد كسبت قوة في عهد مكارثي ، فقد تدعم مركز المحكمه العليا الامريكية لانها تتمتع بحماية الدستور وقوة التقاليد وقوة أعضائها ، لذلك اتخذت المحكمة سلسلة قرارات زادت من قوة بناء الحرية عما كانت قبل .

ان الذين نالوا تعليمهم منا في القرن العشرين يفكرون على حسب قواعد علم الاجتماع سواء كنا نحيط بهذا العلم أو لا . فإذا لاحظنا ظاهرة المكارثية فينبغي أن نطرد من أذهاننا فكرة ان انسانا ما يستطيع أن يفعل الكثير في هذه الناحية وان كانت هذه الظاهرة تحمل اسمه . ومن الواضح ان المكارثية كانت نتيجة عوامل مختلفة وليست من صنع مخلوق واحد . قال جوزيف وستيوارت السوب : « لقد كانت المكارثية من مخلفات الحرب

الباردة » وقال تالكوت بارسنز (من علماء الاجتماع) : « انها حركة انتقامية من بعض العناصر التي قضت نحو عشرين عاما في ظل الاستبداد » وقال بيتر فيريك « ان المكارئية انتقام الجسماء التي خضعت سنوات لخيال الاحزاب - ورأى البعض انها ثورة على العزلة التي سادت في فترة الثلاثينيات » ورأى صمويل لوبل « انها محاولة لمقابلة من يعتقد الكثيرون فيهم انهم مسئولون عن بعض الاخطاء التي ترجع لاشتراكنا في الحرب العالمية الاولى » .

ولا أشك لحظة في قيمة هذه التفسيرات التي اشترت اليها في المتقطعات التي أخذتها منها . ان الزعيم الفوغاوي يستغل الخطأ والظلم حيثما وجده وما يثيرني هنا هو انهم جردوا مكارئي من صورته الحقيقية . فان جميع التفسيرات قالت انه أداة ، صوت ، أو رمز أو وباء سرى بيننا ، وربما كان كذلك . ولكن لماذا انتظر طويلا كي يرفع رأسه ؟ ولماذا اندش أو اضمحل نفوذه عندما استسلم للياس ؟

لقد كانت المظالم والسخط موجودة قبل ظهوره ، وأعتقد ان معظم هذه الاشياء لا تزال باقية حتى اليوم . وقد حاول من سبقه استغلال العوامل التي استغلها ونجح بعضهم ، ويحاول البعض استغلالها اليوم ويرى المرء في ذلك علائم المكارئية الثائرة . وقد يكون غريبا اننا لم نر أحدا من هؤلاء ، ومن المؤكد أن أنصار المكارئية قد تلاشوا في عام ١٩٥٤

ويمكننا القول ان السنوات التي عاشها مكارئي كانت فترة دراماتيكية في حركة تاريخية مستمرة واسعة النطاق ، وقد تحدث بنيامين جنزبورج في كتاب عن الحرية - عن القضية وناقشها - فقد كان مشتركا في اللجنة الفرعية للحقوق الدستورية التابعة للجنة القضائية ومجلس الشيوخ . تحدث جنزبورج عن التغييرات التي حدثت منذ سنة ١٩٥٤ فقال : « ان هذه الاشياء تمثل انطواء المرحلة المكارئية المعادية لحركة الادارة الحالية . ويسرد جنز بورج قضايا عدة عن امتهان الحقوق المدنية في السنين الماضية وكذلك عن مطاردة الموظفين والمواطنين بسبب آرائهم الخاصة وعن بقاء اشياء تافهة من اجراءاتنا الخاصة بالامن . ويقول : « ان الخطأ فينا ولا علاقة له بحظوظنا ونجومنا . ولا يوجد انسان عاقل يتهم مكارئي بأنه الذي اوجد المذهب المضاد للارادة الانسانية . لقد كان الخطأ يكن في انفسنا واستطاع مكارئي أن يظهره للعيان ، وقال ليتشيه ردا على سؤال من هذا القبيل « هنا بطل هن الشجرة عندما كانت الثمار ناضجة . فهل تعتقد ان هذا امر سهل ؟ انظر الى الشجرة التي هزها ! انها شجرة هائلة تحتاج لعملاق كي يهزها . وهذا ما مثله مكارئي . وقد سقطت الثمار ولكنها أصيبت بعطب وسقطت حكومة ترومان من ثقلها سنة ١٩٥٠ »

وقد تولت حكومة ايزنهاور السلطة وهي تؤمن انه من الواجب الدستوري للحكومة أن تستجيب لارادة الشعب بدون معارضة الجهاز التشريعي . وقد اثار مكارئي الرعب في الكونجرس وبين الموظفين الذين لم يجدوا حماية من البيت الابيض .

وقد هز الكونجرس الشجرة كلها ، وليس الأجهزة السياسية وقد ثبت ضعف الأطراف غير السياسية .

غير أن بعض المنظمات ومنها بعض المنظمات الدينية كانت تعارض مكارثي بشدة ، وبالرغم من تسلل مكارثي بين الطبقة العاملة فإن منظمات العمال كانت تنفقه بشدة وتحمل عليه كثيرا . وكانت بعض الصحف تعاديه ومنها النيويورك تايمز والنيويورك هيرالد تريبيون والواشنطن بوست وصحف كارلز ونات ومنشورات لوس وكان يعاديه أيضا عدد كبير من كتّاب ورجال الصحافة في أنحاء الولايات المتحدة ومن أمثلتهم ، والتر ليتمان وجوزيف وستيوارت السوب ، ودوريس فيلسون وماركين تشيلدرز ودرر بيرسون وتوماس ل . ستوكس ، وأما في الإذاعة والتلفزيون فكان من نقاده آدوارد ر . مودر وألر ديفيز وكونسي هو ومارتن أجرتسكي وأدوارد مديجان .

وقد تكهن ترومان توماس أحد أبطال الحرية والادب باقترب نهاية مكارثي والمكارتية - هذه النهاية التي تعتبر نصرا للعقل والنوق . واشتد النزاع والصراع بين الكارثية وأعدائها . وقد أصيب مكارثي بالهيسار داخلي ذلك لثلاثة شغل بعلم جنوى نشاطه فقد كان مكارثي ضحية مجبولة للحقيقة أو أسطورة لنقاد للرأى العام .

ومن الممكن أن يكون مكارثي قد صدق جون ماكليان غند - ما قال هذا انه لا يخشى المكارتية ، وربما كان الاستياء من المكارتية مرضا معديا ، ويحتمل أن يكون مكارثي قد أصبح في النهاية وبلاء خطيرا نال منه التعب انظر إلى هذه المنازعات ، لا أنظر إلى انهيار مكارثي باعتباره السبب هو عدم قدرته على تصديق ما كان يتفوه به .

إن المناقش قد يدرك عاجلا أكثر من أي شخص آخر - متى سيكشف عنه الستار وربما شعر مكارثي بذلك دون أي جدال ، انه على الرغم من وجود معجزات ممكنة الوقوع ، فإن الجهد الذي لزم الحصول على ذلك قد استلهم دم الحياة الذي ما كان أحد من المناقشين يضحى به .

ومع ذلك فإننا نعتقد أن مكارثي قد هز الشجرة بعنف ، ولكنها لم تسقط بل سقط هو كذلك فإننا لا ننبئ أن ٥٠٪ من الناس كانوا يميلون إليه على حين أن ٢١٪ منهم امتنعوا عن إبداء رأيهم فيه بصراحة أما من عارضوه فكانوا نحو ٢٩٪ من الرأى العام وذلك في الاستفتاء الذي أجرته بعد وفاته إحدى الصحف الأمريكية الواسعة الانتشار .

والواقع لقد كان مكارثي أكذوبة كبيرة ، ولد لي موت ، وكان يزوغ نجمة في الشيناء الأمريكية وأقوله بالشرعة المذهلة التي تدعو للشفقة .

تم الكتاب

الدار القومية للطباعة والنشر



مطابع الدار القومية

١٥ شارع عبيد - روض الفرج

تلفين ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٤
٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨



العدد ١١ قرش

٤٤ العدد

018
38r
Bibliotheca Alexandrina
مكتبة



0681928